
رواية
نباش الجثث
أشرف السيد

توفيق التربي

مش سهل على الانسان مننا إنه يشوف ميتين كل يوم ويقرب منهم, او يلمسهم, الموت له رهبة, وكل واحد فينا له معاد وفكرة انك تشوف ميت قدامك ده يخليك تحاسب نفسك الف مرة, انا بقى بحكم شغلانتي كل يوم بشيل ميتين وبجهزلهم التُرب, وبدفنهم, علشان كده اتعودت, وبقيت فاهم يعني ايه انسان يموت.



توفيق التربى

انا الحج توفيق السيد احمد عمري 50 سنة ساكن في بيت قديم وسط المقابر, ما هو انا ابقى التُربي اللي ماسك المنطقة دي, مفيش دفنة ولا ميت يتدفن إلا على إيدي, ربنا يرحمنا جميعا يارب, من صُغري وانا متربي هنا وسط المقابر, ما انا ابويا الله يرحمه كان تُربي, وانا ورثت عنه الشغلانة طلعت للدنيا لقيتني بشتغلها وكبرت فيها, واتشهرت بأسم توفيق التُربي, ابويا مات وسابلي البيت اللي انا ساكن فيه, ما انا مليش مكان تاني, عايش فالبيت ده انا ومراتي وعيالي وأمي ربنا يديها الصحة, انا بقالي في شغلانتي فالتُرب فوق التلاتين سنة, وياما شوفت فيها عجايب, شوفت اللي يفوق من الموت, وهو متكفن, وشوفت اللي اتدفن حي, وخرجناه من القبر,وشوفت اللي شمتان فالموت وفاكرها دايمة له, كله كوم والميتين اللي بتدفن ونرجع نخرجها تاني علشان تتعرض مرة واتنين على الطب الشرعي دي كوم تاني لوحدها .

لكن حكاياتي في التُرب بدأت في يوم كنت رايح اوضب دفنه, ما انا قبل ما ادفن الميت بفتح القبر يتهوى, وأساوي الرمل, واقعد استنى الدفنة لحد ما تيجي, باخد الجثة من النعش وبنزل بيها القبر, بيبقى معايا الولا "ناصر" الصبي بتاعي, المهم فاليوم ده روحت وفتحت القبر وروقته ,شوفت من بعيد هناك راجل لابس جلابية ودقنة طويلة خرج من قبر, والقبر ده مدفون فيه بنتين اطفال توأم.

استغربت اوي ايه اللي يخلي راجل ينزل قبر بالشكل ده, ده حتى الساعة كانت اتنين الضهر ومفيش مخلوق يوحد ربنا, مشيت ناحيته وانا بندهله:

_يا حج... يا حج بتعمل ايه عندك.

مردش عليا ومشي بسرعة قبل ما اوصل لعنده, وصلت القبر اللي شوفته بيخرج منه, لقيت القبر مفتوح, لمحت جثث الطفلتين دول لاحظت انهم متحركين من مكانهم, نزلت لقيت الأكفان متقطعة من عليهم، خرجت وقفلت القبر عليهم تاني وقولت هبقى ارجع اقفل القبر كويس, علشان الحق



ولما وصلت الجنازة، ودفنت الجثة وعملت اللي عليا ومشيت, ومفيش عشر دقايق واهل الميت مشيوا، وهو ده اللي بتعمله الناس، قليل أوي لما عيلة تقف تدعي للي مات ولو نصف ساعة, وهو ده حال الدنيا, دخلت بيتي أنادي لأم احمد مراتي تجهز لي حاجه أكلها, قالتلي:

_ فيه واحد قاعد مستنيك جوه.

قولت تلاقيه من اهل الميت وهيديني الصدقة اوزعهاله.

دخلت لقيته الراجل اللي شوفته عند قبر البنتين التوأم، قولتله:

_ هو انت؟

_انا الشيخ زيدان جيت اتفق معاك على مصلحة...

قاطعته وقولت:

_كنت بتعمل ايه في قبر البنتين التوأم, وبعدين مصلحة ايه دي اللي عاوزني فيها.

_اهدى بس, ما انا جايلك في الكلام.

_بقى تسيب قبر مفتوح وتقولي اهدى, ده الميت له حرمته يا بني آدم.

_خلاص يا عم انا محقوق لك, اسمع بقى انا جايلك في ايه, مصلحة سهلة وقرشها حلو.

_خير... ما ترسيني على الحكاية.

_انا يسيدي شغلانتي اعمل العمل وافك المربوط, واطلع الجن, واشوف الطالع واقرأ الكف, واللي عاوز حجاب يجيني, والمسحور يجيني, شغال في اي حاجة وفي اي حاجة تلاقيني.

_يعني دجال ونصاب.

_لأ متقولش نصاب, انا بخدم الناس وبحل لهم مشاكلهم.

_طيب وعاوز ايه من واحد زيي.

_هقولك انا سعات كده بحتاج انزل قبر, حته من كفن قديم, خلصة شعر من مرأة ميتة, عضم ميتين, جمجة, كلها حجات من دي, وهتطلعلك في كل مرة بمصلحة حلوة, ها قولت ايه؟



سكتت وانا بفكر, مش عارف ارد عليه بإيه, وقبل ما اتكلم قالي:
_فكر براحتك بس خليك عارف طول ما انت معايا هتاكل الشهد... هسيبك وامشي, بس هستنى تقول آمين ونبدأ شغل سوا.
مشي الشيخ زيدان, وسابني افكر, فكرت في المصلحة اللي هطلع بيها منه, وانا كده كده بتعامل مع الميتين... انا اجرب معاه, ومش هخسر حاجة, وهما يعني العايشين بيسألوا في بعض, علشان هيسألوا في الميتين, يعني اقدر اشتغل ولا من شاف, ولا من دري.
وفعلا في نفس اليوم اتصلت بالشيخ زيدان, وبلغته إن انا موافق اشتغل معاه, واخدت منه اول مهمة, وهي هستنى ناس هيبعتهم لي, والباقي هعرفه لما هو يجي.
وتاني يوم الصبح بدري, جُم اتنين ستات, كنت مستنيهم عند مدخل التُرب, واحدة منهم قالتلي:
_انت الحج توفيق التُربي؟
_ايوا انا
_احنا من طرف الشيخ زيدان.
_اتفضلوا معايا.
اخدتهم علي بيتي "ام احمد" شافتهم واصرت تعرف مين دول, اخدتها على جمب وفهمتها كل حاجة, رحبت بيهم, واستنينا لحد ما جه الشيخ زيدان, قرب مني وقالي:
_تعالى معانا علشان تفتحلنا قبر البنتين التوأم.
في الاول اترددت وكنت هرفض, بس انا قولت في نفسي... لازم اجمد قلبي مش من اولها كده, سبقتهم ومشيت قدامهم وروحت فتحت القبر, دخل اول واحد الشيخ زيدان وهو بيقرأ كلام مش فاهمة بس فهمت منه ان الست اسمها انتصار, ومشكلتها إنها مبتخلفش, ومطلوب منه يفك لها العمل, اويعملها اي حاجة علشان تقدر تخلف.
نزل الشيخ زيدان القبر وبدأ يحرك جثث الطفلتين, انا منزلتش وراه القبر, كنت متوتر كأني اول مرة أفتح قبر, بعد خمس دقايق بالظبط, الشيخ زيدان نده للست انتصار وقال:
_تعالي يا ست انتصار, انزلي القبر.
اتدخلت انا وقولتله :
_لأ محدش هينزل, وانت كمان اخرج بسرعة.
_ليه؟ فيه ايه؟
مكنتش عارف ايه اللي خلاني اقول كده, فجأة شوفت ناس جايين علينا من بعيد, قولتله:
_فيه ناس جايين .



خرج بسرعة, وانا قفلت القبر, قفلته لما شوفت الناس اللي هناك جايين ناحية القبر ده تحديدا, قفلت القبر بسرعة اي كلام وخليت الشيخ زيدان واللي معاه يعملوا نفسهم اهالي ميتين, وجايين زيارة لقبور موتاهم, طلعوا الناس دول اهل البنتين التوأم, اصل البنتين دول كانوا لسه ميتين ماكملوش اسبوع, وقفت معاهم عشر دقايق, ومشينا رجعت بيت, الست انتصار واللي معاها مشيوا, قولت للشيخ زيدان:

_الشغلانة بتاعتك دي متلزمنيش, دي كُلها لبش... وانا مضمنش اللي هيحصلي.

_يعني ايه؟ دا انا حتى مااستفدتش حاجة, والست زي ما جات, زي ما رجعت.

_انا مش هشتغل الشغلانة دي ياعم, الله الغني.

مشي الشيخ زيدان بعد ما شدينا مع بعض, وكان بيهددني ان لو مااشتغلتش معاه مش هيسيبني في حالي, وبعدين ما انا كمان اخدت منه 200 جينه مقدم.

ساعتين كده واتصلوا بيا جماعة يبلغوني احضر التُربة لجنازة هتوصل بعد الضهر وفهمت من اللي بيكلمني ان المرحومة واحدة ست, وماتت مقتولة.

الواحد بيسمع سيرة القتل وموت الحوادث وجسمه بيقشعر, المهم جهزت التُربة انا والولا ناصر, ناصر مايعرفش حاجة عن اللي حصل بيني وبين الشيخ زيدان, ناصر قالي:

_عم توفيق كنت عاوز اقولك حاجة سمعت بيها.

_نخلص شغلنا وقول اللي انت عاوزه.

_كنت بقولك فيه واحد نباش... بينبش القبور, وبيلاقي ميتين مدفونين وهما لابسين دهب وحجات تساوي آلافات.

_دي حرمانية اموات ملناش دعوة بالكلام ده.

حسيت الواد ناصر كان مستنيني اقوله, تعالى ننبش قبور احنا كمان... جهزنا تربة الست المقتوله, وخرجت روحت قفلت قبر البنتين التوأم قفلته كويس, اصل الكلاب والديابة اللي في المنطقة ممكن تدخل وتنهش في جسم الميتين.

استنيت لحد ما جات الجنازة ودفنا الجثة, وفكرت في حكاية نبش القبور دي, الحوجة هي اللي خلتني افكر فالموضوع ده, ما هي شغلانة التُربي دي مش بتوكل عيش, وانا معرفش شغلانة غيرها, الشيطان لعب في دماغي, وقولت ليه لأ ما انا ادور واللي ألاقيه يبقي رزق ليا ولعيالي, بس لما فكرت لقيت مينفعش اي حد يعرف بالموضوع ده, ولا حتى الولا ناصر, والاحسن اشتغل لوحدي, وفعلا استنيت كده عالمغرب علشان اتأكد ان مفيش حد هيشوفني, ولأني عارف كل قبر تبع عيلة مين, وعارف كل قبر مدفون فيه كام جثة, وإذا كانوا رجاله ولا ستات.



وبحسب معرفتي بالحجات دي كلها, اقدر احدد القبر اللي هلاقي فيه, الحاجة اللي انا بدور عليها.
روحت فتحت قبر لعيلة كبيرة, القبر ده اتدفن فيه تلاتة جدات كبار, كنت متوقع ألاقي فيه حاجة من نزلت للقبر, وكنت منور القبر بنور لمبة كشاف قديم, نزلت والدنيا ضلمة حوليا, ريحة القبر شديدة, مكنتش قادر استحملها, رغم اني متعود على ريحة القبر, بس القبر ده بقاله كتير متفتحش, نورت كويس باللمبة اللي معايا, شوفت العضم بقايا جثث الميتين اللي هنا, كان العضم ظاهر اوي, وقماش الأكفان أكلته الأرض.
قربت منهم, وفتشتهم برجلي, ريحتهم زادت اكتر, كان فيه جثة منهم مركبة اسنان دهب, وانا بحركهم برجلي لمحت الأسنان دي, نقيتهم بالواحدة ولفيتهم في منديلي القماش.
ولسه كنت هخرج من القبر ما انا خلاص لقيت اللي انا عايزه, مكنتش مصدق ان انا ممكن ألاقي حاجة بجد, وكمان من اول قبر افتحه, لسه هخرج سمعت صوت الولا ناصر الصبي, وهو بيقول:
_يا شيخ زيدان... انته فتحت القبر ده ونزلت لوحدك؟
اتفاجئت بكلام "ناصر" وفهمت منه ان الشيخ زيدان بيجي وبيدخل القبور بمساعدة الصبي اللي شغال عندي, اومال ليه كان عاوز يشغلني معاه, ما هو كده كده بيعمل اللي بيعمله من غيري.
ناصر اتكلم تاني وقال:
_يله يا شيخ زيدان, يله علشان الحق اقفل القبر قبل ما الحج توفيق يجي.
مرديتش, ومكنتش عارف اتصرف ازاي, اخرج واوريله نفسي, ولا اعمل ايه علشان مايعرفش ان انا اللي هنا.



سمعت صوت خطوات رجليه نازل على سلم القبر, خرجت وقولتله:_هو الشيخ زيدان بيجي هنا بالليل؟
_انت شكلك فكرت في الكلام اللي انا قولتهولك, لا ومش بس كده دا انت بتنفذ كمان.
_اهي كل حاجة اتكشفت قدامك, كلم لنا الشيخ زيدان وقوله إننا هنشتغل معاه.
مكنش قدامي اختيار تاني, وانا مش حابب اشتغل مع الراجل ده, واصلا كنت رافض شغله كله من الاول, كنت خايف اتفضح وخصوصا القبر اللي دخلته ده بتاع عيلة كبيرة وواصلة.
بعد شوية جه الشيخ زيدان بصلي بنظرة حادة وقالي:
_افتحلي قبر البنتين التوأم.
كان معاه عصاية صغيرة شكلها غريب, ومعاه ورقة وحتة فحم, روحت فتحتله القبر, نزل وساب الورقة مع ناصر قعد في القبر يجي خمس دقايق, وخرج كتب كلام بالفحم على الورقة.
أدالنا فلوس ومشي, وانا وناصر قفلنا القبر تاني, ناصر قالي:
_ايه رأيك في المصلحة؟ ولسه فيه مصالح جاية كتير.
اخدت الفلوس وفرحت بيها وقولتله:
_انا معاكوا في اي حاجة؟
_اي حاجة... اي حاجة, حتى لو هتبيع جثة؟
سمعت الجملة وخوفت, ناصر كمل كلامه وقال:
_ومش اي جثة دي لازم تكون جثة طازة, بنبيعها لدكتور تشريح حبيبنا... والدكتور إيده فرطة وهيراضيك في الحساب.
_ويترا بعت له كام جثة لحد دلوقتي؟
_الصراحة بعنا له كتير بس مش من المدافن بتاعتنا, وانا هغفلك بنجيبله من مدافن الصدقة, ما احنا لينا إيد هناك.
مرديتش عليه وسبته ومشيت وانا بفكر في الموضوع رجعت البيت لقيت امي تعبانة اوي, وتاني يوم الصبح أخدت امي لدكتور, وبعد الكشف حولها للعمليات, وقالنا انها محتاجة عملية مستعجلة, مكانش معايا فلوس تكفي, روحت بسرعة "لناصر" اللي اكتشفت بعدين انه كان ممكن يسلفني المبلغ, لكن قالي:
_محلولة هاخدك ونروح نسلك جثة الولية اللي جات مقتولة من يومين كده.
_قصدك نبيعها لدكتور التشريح؟!
_متقلقش هيدينا الفلوس علطول...بيسلم ويستلم.
كنت قلقان ما هو الموضوع مش سهل, ناصر قطع تفكيري وقالي:
_مش الست دي مدفونة بقالها 3 أيام؟ اصل الدكتور قالي لو اكتر من 3 ايام مش هياخدها.
فكرت ووافقت ويارتني ما وافقت, وقولتله:
_يله بينا.



أخدنا عدة الحفر وروحنا انا وناصر عند قبر الست المقتولة, بمجرد ما وصلنا ظهرت رياح حلزونية, رياح قوية جداً, الرياح خرجت من مدخل القبر, الغبار ملى المكان كله, الرمل دخل في عنيا, مبقتش شايف قدامي, رميت عدة الحفر من ايدي, وفضلت افرُك عنيا, مكنتش شايف كويس بس سمعت صوت ناصر, بيصرخ وبيقول:

_إلحقني يا حج توفيق, إبعدها.. إبعدها عني.

شوفته وقع عالأرض وبقى بيزحف لورا, وكأن فيه حاجة بتهاجمة, مكنتش عارف اعمله حاجة, لأن انا كمان مكنتش شايف كويس, الرياح كانت قوية اوي, لدرجة ان كنت بقع وانا ماشي, فضلت أحبي على الأرض زي العيل الصغير, لحد ما بعدت عن القبر ده, سبنا عدة الحفر متلقحة جمب القبر, ووقفنا انا وناصر بعيد شوفنا الرياح بتلف حوالين القبر, بصينا لبعض واحنا مستغربين من اللي حصل, لأن اللي حصل ده مش طبيعي, احنا بقالنا سنين شغالين في التُرب, عمرنا ما واجهنا حاجة زي دي, قولتله:

_هنعمل أيه؟

_مش عارف! مقدامناش غير اننا نستنى جثة جديدة.

استلفت فلوس عملية امي, وتمت العملية ويومين وامي اتحسنت ورجعت البيت, وفي نفس اليوم اللي أمي رجعت فيه للبيت, جالي عزاء, بس المرة دي المتوفي راجل, جهزنا القبر انا وناصر, واستنينا ندفن الجثة على أساس نرجع نخدها تاني بعد ما اهل الميت يمشوا.

وصلت الجنازة وعملنا اللازم, فهمنا من الناس في الجنازة ان المرحوم راجل مُسن وكان صاحب مرض, في وسط زحمة اهل المتوفي, ناصر قرب مني, وقالي:

_الجثة الكبيرة سعرها أقل.

خوفت حد يسمعنا, سبته وجبت جردل مياة, ورشيته قدام القبر, بدأت الناس تمشي, ببص هناك شوفت ناصر شايل عدة الحفر, ومعاه شوال كبير, وبيشاور لي بعنيه, كنت متوتر وقلقان, روحتله وقولتله:

-فيه ايه؟

_الناس اصحاب الأمانة مستنيين وعاوزين يشيلوا.

_بالسرعة دي, ده اهل الميت لسه ما مشيوش!

_جمد قلبك يا عم توفيق خلينا ناكل عيش.

الموضوع بالنسبة لي مكنش سهل, وكنت خايف يتكرر معايا نفس اللي حصل لما فكرنا نفتح قبر الست المقتولة. استنينا لحد ما أهل الميت مشيوا, وفعلا فتحنا القبر انا وناصر تاني, وخرجنا جثة الراجل, وحطناه في الشوال زي ما هو بالكفن, ناصر شاله وراح سلمه للشابين اللي جُم من طرف الدكتور, حطلهم الجثة في شنطة العربية, وانا كنت بقفل القبر, جه ناصر, وقالي:

_بيقول عاوز جثة الست المقتولة, وليها سعرها.

_انت عايزنا نروح عند قبرها تاني؟ انته نسيت اللي حصلنا المرة اللي فاتت.

_تعالى معايا ومتخافش .



أخدنا عدة الحفر وكان معانا شوال تاني وروحنا, وبدأنا الحفر, وفضلنا نحفر ونحفر, وكأننا معملناش حاجة, فضلنا نحفر يجي ساعة, ولما تعبت قعدت على جمب اخد نفسي, قولتله:

_مش عارف ماله القبر ده كل ما بنحفر كأن الحفرة بتتردم.

ناصر رمى الفاس وقعد جمبي وهو بينهج وقال:

_انا خلاص تعبت, مش قادر اضرب في الأرض فاس واحد.

_خلاص قولهم يجوا بكرة نكون جهزناها لهم, علشان انا كمان تعبت زيك, مش قادر على حفر تاني.

قعدنا ناخد نفسنا ببص على مدخل القبر اللي حفرناه لقيته اتردم تاني, رغم اننا اخدنا وقت طويل واحنا بنحفر, رغم ان في العادي لما بنيجي نفتح قبر مش بناخد الوقت ده كله, بس القبر ده تحديدًا مكنش قبر طبيعي.

رجعنا كل واحد على بيته, بعد ما اتفقنا مع الناس على إنهم يجوا بكره, يعني بكرة بالكتير لازم نخرج جثة الست دي, لأنه مش هيصبر عليها اكتر من كده.

لكن اللي حصل قبل غياب الشمس غير خطتنا خالص, جات عربية حكومة ومعاهم اهل الست المقتولة, وكمان عربية تكريم الإنسان, اللي بتنقل الميتين, اخو الست المقتولة, اسمه احمد انا اعرفه معرفة سطحية ...جالي على بيتي, وقالي:

_عم توفيق تعالى افتحلنا القبر, وخرجلنا المرحومة غادة.

اخوها كان باين عليه بيعيط وجسمه بيترعش, كان شكله مرهق اوي, اتفاجئت لما شوفت عربية الحكومة والناس دي كُلها, اتصلت بناصر أبلغه علشان يجي, يُقف معايا, لأني بصراحة كنت مرعوب يتكشف موضوع جثة الراجل اللي اتدفن انهاردة وبعناه, الظابط كان معاه تصريح بإستخراج جثة الست غادة, اخدنا العدة وبدأنا نحفر علشان نفتح القبر, كان الظابط والعساكر واقفين علينا, وانا وناصر كنا بنبص لبعض, بنفتكر اللي حصلنا بالنهار... معرفناش الحفرة كانت بتتردم ازاي, وفي نفس الوقت وفي وجود الشرطة, وممرضين من المستشفى, قدرنا انا وناصر نفتح القبر في اقل من عشر دقايق كنت خايف انزل القبر ده, فتحناه ونزلنا انا وناصر علشان نخرج الجثة, حسيت بحاجة غريبة في القبر ده, دي مش اول مرة انزل قبر!, مش عارف ليه جسمي قشعر كده!



خرجنا بالجثة بشكل طبيعي, والمرضين أخدوا الجثة على نقَالة بيشيلوا عليها الميتين, هما اخدوا الجثة في عربية تكريم الأنسان وأخوها أحمد ركب جمب الجثة وهو منهار.
خرجنا انا وناصر من القبر ورميت الكُريك على الأرض, كنت متغاظ منه اوي, قولتله:
_كُنا هنروح في داهية بسببك, كانت هتتكشف لعبتك الوسخة لو كان حد عرف باللي عملناه في جثة الراجل الكبير اللي اتدفن انهارده.
_يا عم توفيق الحكاية مش حكاية الراجل اللي اتدفن انهارده, انت شوفت القبر اتفتح معانا بسهولة ازاي؟!
_بقولك ايه انا من دلوقتي مش هشترك معاك في الشغلانة المنيلة دي تاني.
كانت الدنيا ضلمت, سبته يلم العدة لوحده ورجعت على بيتي, بعد ساعة كده اكتشفت ان المحفظة وقعت مني في التُرب, لكن تحديدًا مش عارف فين, وخصوصا فيها نصيبي من بيع الجثة إياها.
روحت أدور عليها, وفي إيدي كشاف قديم من أبو بطارية, شغلته وفضلت ألف وسط المقابر, وتحديدًا عند قبر المرحومة غادة, كنت خايف اقرب من القبر ده, وجهة ضوء الكشاف ناحية مدخل القبر, كان القبر مفتوح, لما وجهت الضوء حسيت بحركة جوه القبر, كأن فيه حد جوه بيستخبى من ضوء الكشاف علشان ماخدش بالي منه,
وده أثار فضولي أقرب من مدخل القبر وأشوف مين اللي جوه.
في عز الهدوء والضلمة, قربت من القبر وانا بقول:
_ مين اللي هنا, ازاي جالك قلب تستخبى في القبور في عز الضلمة دي, تلاقيكى سكران ولا شارب.
محدش رد عليا, قولت تلاقية كلب ولا ضبع, من حيوانات الجبال اللي محاوطة المكان ده كله وقلقت ورجعت لورا خوفت احسن يهجم عليا, لكن لقيت محفظتي واقعه من جوه مدخل القبر, اترددت اجيبها ولا لا, فجأة سمعت صوت جاي من القبر, كأنه صوت بنت بتتألم وبتتوجع وعاوزه حد يلحقها, كان صوت آهات بتنتهي بشهقة, في الأول خوفت, لكن كملت وقربت من القبر, كان الصوت بيعلى, حطيت رجلي من جوه القبر, لقيت في ركن القبر واحدة ست قاعدة ومدياني ضهرها, اخدت المحفظة بتاعتي من على الأرض, وقولت لها:
_انتي مين؟
مردتش عليا, وكانت لسه بتتألم, قلقت منها, وكنت لسه هخرج من القبر, فجأة الست صرخت صرخة عالية اوي, صرختها رنت في المقابر كلها, محستش بنفسي إلا تاني يوم الصبح لما فوقت على نور الشمس, فوقت لقيتني واقع على الأرض جوه القبر, والكشاف اتدحرج من إيدي, وكان لسه شغال .



قُمت مفزوع ببص حواليا, مكنتش فاكر ايه اللي حصل, أخدت شوية وقت وانا بفتكر اللي حصل, قومت لقيت المحفظة بتاعتي أخدتها ومشيت بسرعة, بس كنت حاسس ان جسمي كله مكسر.
مكنتش عارف اللي حصلي امبارح ده كان ايه, استثنيت ناصر لحد ما جه, وحكيتله كل حاجة, قالي:
_واحدة ست جوه قبر المرحومة غادة, وبالليل في عز الضلمة, تبقي عفريتة يا عم توفيق, انت نسيت ان الست غادة ماتت مقتولة, وماتت بطريقة ما يعلم بيها إلا ربنا.
_بس دي اول مرة يحصل معايا كده, انا بشتغل في التُرب من وانا مع المرحوم ابويا, وعمرنا ما شوفنا حاجة زي دي
_بقولك ايه سيبك من الكلام ده, انهاردة هترجع جثة الست غادة من المشرحة, هندفنها, وهنستنى الشيخ زيدان هيجي انهاردة, هيخلص مصلحة, واحنا كمان هنطلع من وراه بقرشين ينفعونا.
هزيت راسي بالموافقة وانا قلقان وبفكر وجوايا فضول مخليني عايز اعرف ايه حكاية الست غادة, وايه السبب في موتها.
قعدت على الكنبة اللي قدام بيتي ملحقتش اريح شوية لقيت التليفون بيرن, كان اتصال من اهل ميت بيطلبوا مني احضر تُربة لحالة وفاة, هتوصل بعد ساعتين.
ندهت لناصر علشان يساعدني كان واقف بعيد, قالي:
_انا رايح أجيب طلبات للشيخ زيدان, متنساش ده هيجي إنهاردة.
أخدت العدة وروحت أجهز القبر لوحدي, القبر ده اتدفن فيه تلات جثث قبل كده وبقالو يجي عشرة ولا خمستاشر سنة متفتحش, علشان كده بيبقى فتحه وتجهيزه صعب وبياخد وقت ومجهود, اشتغلت عليه لوحدي, تعبت أوي على ما خلصت, كان فاضل ربع ساعة والجنازة توصل, والولا ناصر لسه مجاش.
بعد شوية جه ناصر مع الجنازة, ناصر همس لي في ودني وقال:
_ايه رأيك اكلم الجماعة من طرف دكتور التشريح يجوا الليلة دي يشيلوا؟
برقتله وبصيتله جامد, كان نفسي أقوله جبت القسوة دي منين... نسيت ان انا كمان شريكه
خلصنا الدفنة وبعد شوية جات العربية اللي أخدت جثة الست غادة, جابوها علشان تدفن تاني, حالة غادة مكنتش اول واحدة تتقتل او تموت في حادثة, وتدفن وترجع تتعرض على الطب الشرعي تاني, عدت علينا حالات زيها قبل كده, المهم دفنا الجثة للمرة التانية, لكن ملقتش فرصة اتكلم مع اخوها, كنت عاوز افهم منه حكاية غادة.



بعد ما الناس مشيت والدنيا هديت, جهزنا الحاجة اللي طلبها الشيخ زيدان, واستنيناه لحد ما جه في غياب الشمس, واول ما وصل طلب مننا حاجة انا مكنتش متوقعها, قالنا:

_افتحوا لي قبر المرحومة غادة.

بصينا لبعض انا وناصر, قبل ما ننطق بكلمة, قالنا:

_يله مستنيين ايه؟

_اصل القبر ده مسكون...

قبل ما اكمل الكلمة, ناصر قاطعني وقال:

_هنفتحه, هنحفر ونفتحه دلوقتي حالا.

كنت قلقان ومتوتر بدأنا نحفر, واجهنا صعوبة في الحفر زي المرة اللي فاتت, وقفت حفر وقولتلهم:

_انا تعبت.

الشيخ زيدان قالي:

_انا عارف اللي فيها... هات يا ناصر المياه والرماد اللي طلبته منك.

ناصر ناوله الحاجة, لقيته بيرش الرماد على مدخل القبر وفوق منه بيرش المياه و كان بيقول كلام في سره مكنتش فاهم هو بيقول ايه, بعدين قالنا:

_احفروا, خلاص روحها مش هتقدر تواجهكوا تاني.

رجعنا نحفر تاني انا وناصر, وكأننا بنحفر لاول مرة, وفعلا حفرنا بسهوله, نزل الشيخ زيدان للقبر ومعاه إزازة فاضية, ناصر نزل معاه لكن انا استنت بره, بصراحة كنت خايف بسبب اللي حصلي في القبر ده بالليل.

سمعت صوت الشيخ زيدان وهو بيقول:

_سخرتك لي أيها الروح...

وفضل يكرر الجملة تلات مرات, بعدين ندهلي علشان انزله, اترددت وكنت هسيبه وامشي, بس نزلت ...مكنش ينفع انسحب في الوقت ده, نزلت والقبر تحت كان ضلمة اوي, لقيت ناصر ماسك شمعتين وواقف في زاوية على جنب, وكانت ملامح وشه مش طبيعية, بقوله:

_ناصر, مالك ياض يا ناصر.

الشيخ زيدان قالي:

_ركز في اللي هقوله لك, خد المقص ده وفك الكفن وقص ليا شويه من شعرها.

كنت خايف وقرفان اووي, بس كان لازم أعمله اللي هو عاوزه, في اللحظة دي انا كرهت نفسي اوي, قطعت الكفن وقصيت شويه من شعرها, قالي:

_دخل الشعر ده جوه الإزازة وتعالوا ورايا.

خرجت انا وراه الأول وخرج ناصر بعدي, كنت قلقان من ناصر هو كمان, مشي الشيخ زيدان وسط القبور, لحد ما وقف عند قبر البنتين التوأم, طلب مننا نحفرله القبر ده, وفعلا حفرناله ونزل القبر ده, بس المرة دي قالنا:

_اقفلوا عليا واستنوني هنا



كُنا زي العبيد بنفذ له كل اللي بيطلبه مننا من غير ما نفهم, استنينا في عز الضلمة يجي ساعة كده, الغريبة انه نزل للقبر وهو مش معاه أي حاجة تنور ولا حتى اي مصدر ضوء, بعد ما عدت ساعة ولاحظت انه اتأخر اوي جوه القبر, قولت لناصر:

_تعالى نفتح ونشوف فيه إيه؟ الراجل ده لحد دلوقتي لسه مخرجش.

_ لا, هنستناه مش هنفتح, الشيخ زيدان عارف نفسه بيعمل ايه.

جالي تيلفون من البيت قالولي ان أمي تعبانة اوي, متترددتش ورجعت عالبيت بسرعة, انشغلت مع أمي لحد تاني يوم الصبح اتصلت بناصر اسأله عن اللي حصل امبارح, قالي:

_متقلقش انا فضلت مع الشيخ زيدان لحد ما خلص, وسابلك عمولتك معايا.

_هو ايه اللي حصل بعد ما انا مشيت؟

_لأ بقولك ايه ملكش دعوة بشغل الشيخ زيدان, لا اللي نشوفه ولا نسمعه ينفع حد يعرفه... تاخد عمولتك وتسكت.

_تمام... فيه جنازة جايه إنهارده, الميت ولد شاب, الجنازة هتيجي على الساعة 11 الصبح.

جات الجنازة في معادها, واتدفنت زيها زي اي جنازة وخلصت الدفنه والناس مشيت, ناصر قالي:

_ انا هتصل بالجماعة يجوا يشيلوا بتاعت إنهاردة وبتاعت امبارح, كان يقصد الجثث رفضت وقولتله:

_ احنا لازم نبطل الشغل ده, بدل ما نروح في داهية.

حاولت اعرف منه الشيخ زيدان عمل ايه امبارح, لكن معرفتش اطلع منه بحاجة, بس بقيت اشك ان الست غادة ليها علاقة بالبنتين التوأم, وكمان انا شاكك ان الشيخ زيدان له علاقة بموت الست غادة, لأنه مهتم بإجراءات جثتها ونقلها ودفنها وكل حاجة تخص جثت الست دي, وعلشان أتأكد من شكوكي قولت لناصر:

_ما تكلم الجماعة يجوا يشيلوا جثة الست غادة, وبأي تمن؟

_لا, لا... إلا دي وبعدين ما احنا حاولنا قبل كده ولا نسيت اللي حصلنا؟

_اه صح, وهو مين مننا يقدر يقرب من قبر زي ده؟!

ناصر سلم عليا ومشي, وهو ماشي اتلفت عليا وقالي:

_الناس بكره هييجوا يشيلوا جثة الولد اللي اتدفن انهارده.

هزيت راسي بالموافقة ومتكلمتش, رجعت البيت انا كمان اتطمن على الحاجة والدتي, كنت فرحان بالفلوس اللي بقت تخش عليا من السكة التانية, وهي يعني شغلانة التُربي بتجيب فلوس, كنت قاعد بفكر ودماغي بتودي وتجيب, مش عارف ايه اللي وصلني لكده, خرجت اتمشى وطبعا انا مليش مكان تاني اروحه, كنت بتمشى وسط المقابر, اتصل بيا ناصر, استغربت من كلامه وهو بيقولي:

_الشيخ زيدان محتاجك اوي, عاوز يعرف منك قبر الناس اللي ماتوا مقتولين او ماتوا في حوادث, وكمان الناس اللي ماتوا موته غير طبيعية, وهيجي بكره علشان تعرفه القبور دي فين بالظبط .



_وهو هيستفيد ايه من الموضوع ده؟
_قولتلك ملناش دعوة, احنا نعمله اللي هو عاوزه وخلاص.
_خلاص هعلملك القبور دي بعلامة وبكره اقف معاه انت وشوف طلباته.
انا راجل لا بعرف اقرأ ولا اكتب, علشان كده هعلم القبور إياها, جبت جردل ومليته رمل, وروحت عند قبر صاحبه مات في حادثة, وحطيت عليه حفنة رمل, وهكذا على باقي القبور اللي زيه وانا ماشي وسط القبور في عز الضلمة, بتحرك على نور القمر, سمعت صوت عيل صغير بيعيط, كان الصوت بعيد شوية, انا شكيت انه يكون طفل بجد, بقيت اتلفت وسط القبور وادور على الطفل ده, لما قربت من الصوت اتضح لي انه صوت طفلين بيعيطوا, بس انا مش شايف حد منهم كنت ماشي ناحية الصوت اللي بسمعه, بس مكنتش شايف حاجة في الضلمة.
كنت كل ما اقرب من الصوت جسمي بيقشعر, فجأة حسيت كأن فيه حد بيضرب عليا حجارة صغيرة, الحجارة دي كانت جايه من ناحية مصدر الصوت, ولما قربت لقيت ان صوت عياط الأطفال جاي من ناحية قبر البنتين التوأم, في نفس الوقت دخل على صوت عياط البنتين صوت صريخ مكتوم, الصوت كان جاي من قبر المرحومة غادة, انا سمعت الاصوات دي واترعبت في اللحظة دي ادركت ان اللي بسمعه ده صوت جن او عفاريت او ارواح الناس اللي ماتوا, مشيت بسرعة وبعدت عن القبور دي, كان الصوت بيعلى اكتر, من الخوف رميت الجردل وجريت وسط القبور وانا بتلفت حواليا ورجعت على بيتي بسرعة, مكنتش عارف اتلم على بعضي, كان جسمي بيترعش, ماصدقت قعدت أخد نفسي, كنت بفكر هو ازاي ده حصل, انا بشتغل في التُرب من سنين, مكنش بيحصل معايا حاجة زي كده اشمعنا دلوقتي يحصل كده, وليه قبر المرحومة غادة والبنتين التوأم هما اللي بيحصل منهم كده, انا متوقع ان الشيخ زيدان له علاقة بالموضوع, بعد التفكير ده قولت انا مليش دعوه, اخليني في حالي وخلاص كده.
تاني يوم الصبح بدور لقيت احمد اخو المرحومة غادة قاعد على قبر اخته وبيعيط, صعب عليا, روحت اكلمه وكانت دي فرصة علشان اعرف منه سبب موت اخته, ويفهمني ليه اتعرضت على الطب الشرعي مرتين, طبطبت على كتفه واتكلمت معاه لحد ما هدي شوية وبعدين قولتله:
_قولي يا ابني هي المرحومه غادة ماتت ازاي؟
_غادة كانت عروسة زي القمر, فجأة بقت تشوف كوابيس وخيالات, وحاجات غريبة لما كانت بتحكيلنا, مكناش بنصدقها, ومرة في مرة حالتها اتطورت وبقت بتحاول تنتحر, وكنا بنلحقها, لحد ما في يوم دخلنا عليها اوضتها لقيناها مدبوحة, وغرقانة في دمها, ولما اتعرضت على الطب الشرعي, طلع التقرير بأنه اتقتلت, وإن اللي حصلها ده بفعل فاعل, يومها احنا مكناش في البيت, لكن الحكومة ملقتش دليل يثبت ان فيه حد دخل الشقة .



إنهار احمد من العياط هديته واتكلمت معاه, بس مقولتلوش على حاجة كده, ولا كده, وانا قاعد مع احمد, جه الشيخ زيدان, والغريبة انه سلم على احمد وطلع يعرفه عز المعرفة, بعد ما مشي احمد الشيخ زيدان قالي:

_جيت الحقك قبل ما تمشي.

_انا علمتلك القبور إياها بالرمل.

_الولد احمد ده كان بيعمل ايه هنا.

_كان بيعيط على قبر اخته.

لف الشيخ زيدان وسط القبور شوية, وبعدين مشي, وانا كمان اخدت والدتي, وروحنا المستشفى علشان ميعاد العملية, على أخار اليوم بالليل, بعد ما أمي خرجت من العملية ماتت بعد العملية بساعة, زعلت عليها اوي, واتوجعت, موت الأم وفرقها قاسي اوي عليا, رجعت بيها جثة, وبالليل اتغسلت واتكفنت, وتاني يوم الصبح كانت الدفنة, دفنتها بإيدي انا وناصر, وروحت أخد العزاء وسط الرجالة, بعد يومين تلاته, الوضع اتغير وشوية, وانا رجعت لشغلي, ومع اول يوم ليا بعد ما رجعت بقيت اسمع اصوات من القبور, اوقات صريخ وناس بتتألم, وأوقات تاني اسمع صوت ضحكات الأطفال, وغناء الامهات, اصوات كتير متداخله في بعضها, عرفت ان اللي عمل كده هو الشيخ زيدان, عمل اللي عمله بسحره, وشره وياما لف على بلاد كتير بس المرة دي, وسقى الناس سحر وأذى, لازم يقع في شر اعماله.

تاني يوم الصبح كنت بفكر في طريقة, اوقع بيها الشيخ زيدان, لكن جات جنازة ودفناها انا وناصر و بعد ما الناس مشيت, لقيت ناصر بيكلم الجماعة علشان يجوا ياخدوا الجثة, افتكرت جثة امي الله يرحمها, روحت بسرعة على قبر امي, فضلت احفر لوحدي, لحد ما قدرت اوصل لأرض القبر, ملقتش جثة أمي, اتأكدت ان ناصر باعها زيها زي أي جثة بتيجي, خرجت من القبر وانا جوايا نار تطفي بموت ناصر والشيخ زيدان, كنت مقهور من اللي حصل, صدق اللي قال الدنيا دوارة, وشربت من نفس الكاس.

حسيت ان انا عاوز انتقم من اللي جروا رجلي للشغلانة دي, كان قدامي حل واحد, الأول قدرت اوصل لتليفون احمد اخو المرحومة غادة, وطلبت منه يقابلني, ولما جالي حكيتله كل حاجة, إتفاجئت لما قالي:

_الشيخ زيدان هو اللي كان بيعالج غادة, بعد ما يئسنا من علاج الدكاترة, وكان دايما بيجي عندنا على اساس بيعالجها.

بعد اللي قاله احمد إتأكدت إن الشيخ زيدان هو اللي قتل غادة, لكن ايه اللي خلاه يعمل فيها كده, واشمعنا غادة تحديدًا, جاتني فكرة, وقولت اجربها, اتصلت بناصر, وقولتله:

_الشيخ زيدان بيخطط يقتلك, وتكون انت الضحية اللي جاية.

لقيته سمع الكلمتين دول, واتوتر ومبقاش عارف ينطق, قالي:

_انا جايلك دلوقتي... سلام, سلام.



وفعلا جالي في اسرع وقت, ومكنش على بعضه, قولته:
_هيعمل فيك زي ما عمل في غادة.
_ليه؟! هو انا ضايقته في حاجة دا انا دراعه اليمين.
_بس هو عاوز يقدم القربان للأسياد وإلا هيتقلبوا عليه.
_يا عم توفيق انا هقولك كل حاجة, الشيخ زيدان اختار غادة علشان هي اتولدت في يوم مميز عند السحرة اللي زيه يعرفوه, ولما ماتت كان سبق وجهز إنها تموت في اليوم ده تحديدًا, وهي كانت بوابته علشان يقدر يسخر لنفسه ارواح الميتين, بس مش أي ميت يقدر يتحكم في روحه, لأ يقدر يتحكم في ارواح اللي ماتوا في حوادث, او ماتوا بطرق غير طبيعية, وبكده قوته كساحر بتزيد, الله يبارك لك يا عم توفيق تشوفلنا حل يخلصنا منه.
كل الكلام اللي قاله ناصر ده سمعه احمد اخو غادة, وبمجرد ما سمع الكلام ده راح بلغ عننا, وهناك انا اعترفت بكل حاجة بما فيهم دكتور التشريح اللي كان بيشتري مننا الجثث... ودلوقتي انا اتغيرت وخلاص قضيت العقوبة بتاعتي, وخرجت ورجعت لشغلانة التُربي تاني, لكن لسه بسمع وبشوف حجات في التُرب تشيب شعر الراس واللي حصل معايا بعد كده مكنش سهل
"وكفى بالموت واعظًا" الجملة دي كتبتها بالبويا اللي اتبقت من العمال, كتبتها على سور التُرب أصل السور كان هايُقع والحكومة جددته, انا صحيح مكنتش بعرف أقرأ ولا أكتب, بس السجن علمني ، 3 سنين سجن علموني كتير وأثروا فيا.
ودلوقتي انا توفيق التُربي اللي اتسجنت في قضية بيع جثث الميتين, ولما خرجت من السجن توبت وفتحت كُشك قدام بيتي بسترزق منه, ما انا بعد ما خرجت من السجن اتمرمطت شهرين وانا بسرح بالخُضار وانا راجل عديت الخمسين, المهم قدرت افتح الكُشك وبقيت اقف فيه طول النهار الله يرحم ايام ما كنت التُربي اللي ماسك المنطقة, دلوقتي الأهالي بقوا بيجيبوا الحج محمود التُربي علشان يدفنلهم, هو ماسك مدافن تانية وبيجي المشوار ده كله علشان يدفن الميتين اللي هنا, وفي يوم الحج محمود شافني وانا واقف في الكشك بتاعي, وكان جاي علشان دفنه, المهم هو شاورلي علشان اروحله, ولما قربت منه قالي:
_فيه دفنه داخله علينا كمان شويه , ايدك معايا وانا هديلك حسنتك .

بصراحة فرحت ووافقت, وعملتله كل اللي قالي عليه.. سنين السجن مانستنيش شغلانتي اللي ورثتها عن أبويا المهم خِلصت الدفنه والحج محمود أداني حسنتي, فرحت باللي أخدته... وقولت يمكن بعد كده يحتاجني وفي كل مرة أطلعلي منه بحاجة, بس من بعد الدفنه دي بيومين بالظبط جُم اتنين غفر عينتهم الحكومة يحرسوا المكان ومن الأخر كده علشان يحطوا عنيهم عليا, مع اني توبت خلاص بس اللي بيغلط بيعيش العمل كله يتحاسب على غلطه.
اتعين الغفير "جادالله" وبقى ماسك وردية النهار, اما الغفير "عيسى" فهو اللي بيستلم وردية الليل, وانا سعات بسهر في الكُشك بتاعي.
وعدت الأيام وفي كل مرة تيجي دفنه كان الحج محمود بيندهلي اساعده وأخد حسنتي وأبوس إيدي وش وضهر, فضلت على الحال ده افتح الكُشك واقعد فيه وكل ما تيجي دفنه اساعد واخد عرقي, لحد ما في يوم جه الحج محمود وقالي:
_اسمع يا توفيق انت هترجع تشيل شغل التُرب تاني زي ما كنت قبل كده, انا صحتي مش مساعداني اشيل شغل هنا وشغل هناك, وانت أولى مني بالمكان اللي اشتغلت فيه انت وابوك, وانا هبقى امُر عليك من فترة للتانية.
_أيوه يا حج محمود, بس الناس مبقتش تأمنلي ويثقوا فيا زي الأول.. ما هو بعد عملتي إياها الكُل مخوني.
طبطب على كتفي وقال:
_متقلقش, انا هبقى الوسيط بينك وبين أهالي الميتين, اتوكل على الله انت وقول آمين, وسيب الباقي عليا.
وافقت وانا فرحان ده رزق عيالي, واهو اللي بيجي من الكُشك على اللي هاخده من دفن الميتين يكفي ويُستر وكمان اقدر أجهز البت الكبيرة دي بقت على وش جواز.
الفرحة خدتني ونسيت ان انا كده محتاج صبي, واحمد ابني لسه صغير, وغير كده انا مش عاوزه يورث الشغلانة زي ما انا ورثتها عن أبويا, لازم يكمل تعليمه زي اخواته البنات, فضلت في الحيرة دي يومين تلاتة وانا مش عارف اجيب صبي منين, ويكون عيل شاطر وخفيف علشان يفهم الشغلانة بسرعة, كنت واقف في الكُشك ببيع وبشتري زي العادة اتفاجئت لما لقيت الولا "ناصر" قدامي, ما هو كان واخد نفس الحُكم زيي, بس هو عيل صايع بتاع لبش وكان بيعمل مشاكل في السجن علشان كده أخد 3 شهور زيادة .

توفيق التربي

أول ما شوفته قدامي وانا بفكر وبدور أجيب صبي منين, سكت شوية وانا مستغرب, لقيته ولع سيجارة وقالي:
_بقي هي دي المقابله يا عم توفيق, مفيش كفارة يا ناصر, ولا خُش الغدا على الطبلية, ده انت حتى مفتكرتنيش بعيش وحلاوة طول التلات شهور.. معقوله كده رميتني ورا ضهرك, ده انا أول ما خرجت جيتلك علطول.
_تعالى يا ناصر ده احنا مهما جرا بينا عيش وملح.
دخلته عندي الكُشك وجبتله غدا من البيت, وقعدت اتكلم معاه وهو بياكل زي ما يكون واقع من الجوع, وفي وسط الكلام قالي:
_حبيبك بيسلم عليك يا عم توفيق.
_حبيبي؟! حبيبي مين ده!
_حبيبنا كلنا بتاع زمان, دكتور التشريح ما انا كنت عنده قبل ما أجيلك.
_انت عاوز توصل لأيه انت محرمتش, ده كف الصول "زكريا" لسه معلم في قفاك, ولا التلات سنين سجن مأثروش فيك؟! اسمع يا ناصر انا توبت خلاص.
_هه.. توبت؟! مش طالع تحج بالمرة يا عم توفيق؟! وهتجوز بنتك اللي اتخطبت دي منين؟ ولا يمكن نايم على خميرة حلوة وانا معرفش.
لقيته بيبجح سكت ومرديتش عليه, رجع كمل كلامه وقال:
_دكتور التشريح اتسجن سنه واحدة وخرج بكفالة.. بس اتشطب من النقابة, وكانت فاتحة خير عليه راح فتح عيادة من العيادات إياها.. تحت بير السلم يعني! وبقى شغال على كبير, اشي عمليات مشبوهة واشي بيع أعضاء, ومن الأخر كده بقي بيعمل كل حاجة, ومشغل حواليه ناس ياما.
_ناصر, شايف الغفير اللي هناك ده؟
وقف ناصر يبص من شباك الكُشك وقال:
_ااه قصدك جادالله الغفير ده راجل مش سهل, يتخاف منه, وانا عارف هو هنا ليه؟ على العموم يا عم توفيق يوم ما تحتاجني هتلاقي ناصر حبيبك جنبك.
_ما انا عاوزك تشتغل معايا زي زمان.
_اشتغل ايه؟ صبي تُربي! ايوه.. بس.. وماله يا عم توفيق, ولو ان قدامي شغلانه لُقمتها حلوه, بس انا متخلاش عنك أبدًا يا عم توفيق.. ده انا بعتبرك مكان أبويا الله يرحمه.
كان بيقولي الكلام ده وهو ماشي, الواد ده شكله ناوي على حاجة, شوفته وقف شويه مع الغفير جاد وبعدين مشي...



توفيق التربي

دخل عليا الليل وانا واقف في الكُشك, قفلت ومليت حاجتي ما انا عامل الكُشك مُنفصل عن البيت, المهم سحبت المفتاح من القفل وانا لسه واقف على العتبة لمحت نور كشاف تلفون وسط الجبانات, معقولة حد يجي التُرب بالليل كده, شويه وظهر جمب نور كشاف التلفون نور تلفون تاني, غريبة كل ده وعيسى الغفير مش واخد باله, ما انا عارفه ده راجل نوام تلاقيه نايم دلوقتي, مشيت ناحية نور الكشافات بتاعهم لما قربت منهم وشافوني جريوا بسرعة شكلهم هربانين من حاجة, جريت وراهم علشان أعرف هما مين لكن ملحقتهمش, بس كان فيهم واحد ماسك شوال زي شوال الزبالة, ساعتها صحي الغفير عيسى وجه يقولي:

_بتعمل إيه يا توفيق؟ انت محرمتش, ولا السجن واحشك.

_وانا عملت حاجة دول عيال صيع عدوا من جنبك وانت نايم, شكلهم سارقين حاجه وجايين هنا يقسموا.

_انت هتشتغلني يا توفيق, طب لعلمك انا عيني عليك ومغفلتش عنك دقيقة واحدة.

قالي الكلمتين دول ودخل الكُشك بتاع الغفر ورجع نام, دا انا ملحقتش اتحرك وسمعت صوت شخيرة, ده راجل نوام مش بتاع شغل.

مشيت ناحية قبر أمي, ما انا قدرت ارجع جثتها قبل ما الدكتور يدب فيها مشرط,,

حطيت إيدي على القبر ودموعي نزلت وانا بقول:

_سامحيني يا أمي... سامحيني أنا اتسجنت وأخدت جزائي وبتعذب كل يوم بسبب العملة اللي عملتها.

رجعت البيت ونمت وانا بعيط... وعلى الفجر كده, تلفوني رن صحيت ورديت:

_ألو ايوه.. اي خدمة يا حج محمود.

_بقولك ايه يا توفيق فيه دفنه كبيرة وعاوزك تقوم بيها, اربعه قرايب ماتوا من عيلة واحدة "عيلة أولاد صالح".. ماتوا في حادثة, كانت زفة عروسة والعربية اتقلبت بيهم, المهم تشوف حد معاك وتجهز الجبانة بدري, هما الأربعة هيتدفنوا في جبانة واحدة.

_حاضر, انا قدها, متشيلش هم .



توفيق التربي

عرفت منه المعاد وعملت حسابي صحيت قبل طلوع الشمس كلمت الولا ناصر علشان يجيلي, وجالي علطول متأخرش, بس قعد يرغي وياخد ويدي معايا في الكلام, وقالي:

_ما تجوزني بنتك الوسطانية يا عم توفيق, وابقى ابنك وجوز بنتك ودراعك اليمين.

_وده وقته الكلام ده؟!

شويه ودخلت علينا الجنازة والحزن باين في عنين الناس, وبيقولوا ان الفرح اتحول لعزا, حتى انا الدموع اتحبست في عنيا أصل افتكرت يوم عزا أمي, نزلنا الأربع جثث أنا وناصر, جثة ورا التانية, وخرجنا علشان نقفل الجبانة, ناصر سبقني ووقف عند الكُشك.. بعد ما الناس مشيت روحتله أديتله أجرته, نفخ دخان سجارته في وشي وهو بيقول:

_بص يا عم توفيق انا مش عاوز منك فلوس, انا هساعدك وأجري على الله بس انا كنت عاوز منك خدمة.

_خير, خدمة ايه دي.

_هتفتحلنا تُربة, المرة دي مش هناخد حاجة, احنا هنحط.. اه زي ما بقولك هنحط بضاعة, ومفيش مكان أمان أكتر من كده نشيل جواه بضاعة زي دي, ما انا نسيت أقولك أصل انا اشتغلت مع تاجر بقالة كبير, ومش هينفع يشيل البضاعة في المخازن, الحكومة شادة حيلها عالتُجار وبيفتشوا في كل حته, وكمان التاجر ده ممكن يمولك الكُشك بتاعك, انت كل اللي عليك هتفضيلنا تُربة وتنضفها, وانا هجيب البضاعة ونرصها كلها شهر واحد والبضاعة هتطلع, بس قدام الكُل وبالذات الغفر التُربة دي مقفولة وفيها ميتين.

_وانت هتدخل البضاعة دي ازاي, والغفر مابيسيبوش المكان اصلا؟!

_الليل ستار يا عم توفيق, واذا كان على عيسى الغفير ده راجل نوام وانا هبقى أمسي عليه بسجارة محشية, وهي يعني البضاعة ايه! ده زيت وسكر من بتاع التموين هنخزنه شهر ونطلعه نطرحه في السوق, وهفتح الكراتين قدامك علشان تشوف بنفسك .



وافقت واتفقنا على المعاد اللي هيجيب فيه البضاعة, والأتفاق ان البضاعة هتيجي بكره بالليل يعني انا لازم أفضي تُربة انهاردة, رووحت بعد العِشا في عز الضلمة ومعايا عدة الحفر, واخترت تُربة كويسة تأدي الغرض, التربة دي من زمان أوي اتدفن فيها راجل ومراته ومن ساعتها متفتحتش, أكيد الدود كلهم ومش فاضل منهم غير العضم, وبكده سهل أنقلهم لتُربة تانية وأنضف مكانهم.

ولما نزلت وانا بنور بالكشاف بتاعي, زي ما حسبتها بالظبط لقيت الجثث كلتها الأرض ومش باقي منهم غير العضم, حتى وانا بحركهم العضم بيتكسر في إيدي, المهم في الأخر لميتهم في أوفة, وخرجت علشان أفتح تُربة تانيه, بس سمعت صوت بيندهلي, "توفيق.. يا توفيق" الصوت ده زي صوت أمي بالظبط اتلفت حواليا, والدنيا ضلمة مكنتش شايف حاجة خوفت وفكرت أمشي وارجع البيت, بس مينفعش لازم أكمل الشغل للأخر, لما الصوت اختفى, فتحت تربة تانية ونزلت وفي ايدي الأوفة, لما نزلت التُربة شوفت امي تحت قاعدة وبتبصلي زي ما كانت بتبصلي وهي عايشة, شوفتها على نور الكشاف, خوفت والأوفة وقعت من إيدي وخرجت بسرعة من القبر, وجريت ناحية بيتي, وسبت التربتين مفتوحين ومشيت وقفت قصاد الكُشك وانا براقب المكان وبتأكد ان عيسي الغفير نايم وماخدش باله من حاجة.

وقفت أخد نفسي بعد ما جتتي اتلبشت من اللي شوفته, بس انا لازم ارجع تاني مش هينفع التُربتين يباتوا مفتوحين كده, استنيت شويه لحد ما اتطمنت ان محدش هيشوفني, وبصراحة كمان خوفت ارجع تاني, بس جمدت قلبي وروحت قفلت التُربتين, وقولت هبقى أجي الصبح بدري انضف التُربة اللي هيتحط فيها البضاعة, خلصت ومشيت بسرعة وانا ببص ورايا, ما هو اللي شوفته مش شوية نشف دمي, رجعت بيتي وفردت جسمي على السرير وانا بفكر في أمي الله يرحمها, أكيد هي مش راضية عن السكة اللي انا ماشي فيها دي



مجاليش نوم وماغمضليش عين لحد الصبح وقبل طلوع الشمس, روحت نضفت التربة إياها ريحة التربة من جوه تقلب البطن, أما التربة التانية اللي جواها الأوفة انا مفتحتهاش تاني, المهم خلصت ووقفت في الكُشك شوية, جالي جاد الغفير؟ وقالي:

_التُرب رجعت لك يا توفيق, بس مش معنى كده انك هتقدر تكرر عملتك إياها دي تاني, الحكومه حاطه عنيها عليك.

_انا توبت خلاص, وانا يعني هنسى السنين اللي قضيتها في السجن.

وقف معايا شويه وانا ببيع في الكُشك, شكله حاططني في دماغه ومركز معايا, خوفت منه أحسن يكشف موضوع البضاعة اللي هتجيلنا الليلة شويه كدة وجم ناس بيزوروا أمواتهم وأدوني الصدقة, الغفير جاد انشغل معاهم وسابني شوية لقيت فرصة أكلم ناصر علشان أقوله ان التُربة جاهزة وأحذرة من جاد الغفير, واتفقنا انا وناصر ان البضاعة تيجي على نص الليل كده علشان محدش يحس بينا, وظبطنا مع بعض.

وبالليل بعد ما عيسى الغفير استلم الوردية بتاعته, واتأكدت ان الغفير جاد مشي جه ناصر علشان يستنى البضاعة معايا, كنا واقفين عند الكُشك بتاعي وشاورتله على التربة اللي هنحط فيها البضاعة, وقولتله:

_العربية هتوقف هناك مش هينفع تدخل وسط القبور, ولو حد سأل هنقوله ان انا باخد منهم بضاعة للكُشك.. بس قولي عملت ايه مع عيسى الغفير.

ضحك وقالي

_ما انا قولتلك ده راجل نوام متقلقش منه, وكمان انا عامل حسابي هسيبك واروح أمسي عليه بأحلى سجارة محشية مش هيفوق منها غير بعد 3 ايام.

فضلت انا واقف في الكُشك براقب الطريق, وناصر دخل الكُشك بتاع الغفر علشان يظبطلنا عيسى ونتأكد انه مش هيحس بينا.



عدى أكتر من ساعه على الحال ده وانا براقب مدخل التُرب, وناصر لسه مخرجش من كُشك الغفر, ببص لقيت عربية بيضة داخله علينا, وقتها خرج ناصر وراح ناحية العربية, وانا كمان روحت وراه نزل من العربية شابين, وانا فتحت التربة اللي هيزلوا فيها البضاعة, وسبتلهم كشاف ينور لهم تحت وهما بينزلوا البضاعة, لما خرجت من التُربة ناصر أداني كرتونة من الكراتين اللي في العربية وقالي:

_الكرتونة دي بتاعتك يا عم توفيق, واهو علشان تتأكد بنفسك انه زيت وسكر, انا مكدبتش عليك.

فتحت الكرتونه وانا بقلب فيها, والشباب لسه بينزلوا باقي الكراتين وناصر واقف ورا العربية, فجأة ظهر قدامي جاد الغفير وهو رافع علينا سلاحه, وقال:

_بتعمل إيه يا توفيق؟ انت محرمتش ؟! دا انت لسه خارج من السجن يدوب من كام شهر... هي الكراتين دي فيها ايه؟

اتوترت وعرقت وقولتله وانا صوتي بيترعش:

_ده, ده بضاعة للكُشك...

قبل ما أكمل كلامي, وبحركة سريعة من ناصر ضرب جاد الغفير بحجر على دماغه, وقع السلاح من جاد على الأرض, وجاد اترمى جنب سلاحه وهو سايح في دمه, وناصر رمى الحجر على الأرض, وقفنا احنا الأربعة نبص لبعض ونبص للراجل اللي مات, انا مكنتش مستوعب اللي حصل, صرخت بعلو صوتي ومسكت في هدوم ناصر وانا بقول:

_انت إيه اللي هببته ده؟ انت قتلت الراجل... وديتنا في داهية, هنرجع السجن تاني ده لو مكانوش هيعدمونا..

زقني وقالي:

_خلص في ليلتك اللي مش فايته, يله افتحلنا تُربة من اللي حواليك خلينا نتاوي الجثة.



بص للرجالة وقالهم:
_يله يا رجالة خلينا نخلص ونمشي من هنا.
قومت ومسكت فيه مرة تانية, وقولتله:
_انت إيه؟ بقى تقتل الراجل بدم بارد وتقولي أتاويه؟
_لو حد شم خبر كلنا هنروح في داهية وانت أولنا يا توفيق, لا هو انت فاكر ان البضاعة دي زيت وسكر بصحيح؟ ههه دي بودرة متهربة, وهتتخزن هنا علشان نعرف نبعها قطاعي... ها ايه رأيك يا عم توفيق, يا نسيبي يا حمايا
بلعت ريقي ومعرفتش أرد عليه, خبط على كتفي جامد وقالي:
_يله.. يله نفتح التُربة سوا, الرجاله خلصوا شغلهم... يله خلي الليلة دي تعدي.
شاورتله على التُربة اللي نقلت فيها العضم المتبقي من جثة الراجل ومراته اللي كانوا في التُربة اللي نزلت فيها البضاعة, قولت لناصر:
_هنفتح دي.
_وماله.. يله.
كل واحد فينا مسك كُريك وفتحناها, وشيلنا جثة "جاد الغفير" سوا, انا مسكته من رجليه, وناصر مسكه من عند دماغه, ونزلنا بيه تحت, وانا أخدت الأوفة اللي كنت نقلت فيها عضم الجثتين التانيين, ناصر خرج الأول وانا خرجت وراه, كده كده التُربة دي ماهياش غويطة, لما خرجنا رمينا السلاح بتاع جاد جنبه, وقفلنا التربة, كل ده على نور كشافات موبايلات الرجالة اللي كانوا بينزلوا البضاعة, خلصنا وناصر مشي مع الرجالة بعد ما قفلوا التربة اللي اتحطت فيها البضاعة.
وانا كمان لميت العده ورجعت بيتي, كل ده وعيسى الغفير محسش بحاجة, ده انا حتى شكيت يكون ناصر قتله هو كمان, بس بعد اللي حصل الليلة دي بقيت خايف الموضوع يتكشف وأرجع اترمي في السجن تاني, وعيالي يتبهدلوا .

توفيق التربى

من كُتر التعب اللي انا فيه اترميت على السرير محستش بنفسي, إلا وأم أحمد بتصحيني:
_اصحى يا توفيق, اصحى مالك انهاردة اومال... عيسى الغفير واقف عند الباب عاوزك.
لما سمعت الكلام اللي قالته أم أحمد قومت مفزوع وافتكرت اللي حصل امبارح خرجت بسرعة, لقيته قرب مني وقالي:
_توفيق ماشوفتش جاد؟ اصل امبارح قبل ما ناصر يجيلي, كان عندي وأخد السلاح بتاعي وقالي انه هيطبق وياخد الوردية الليلية, وقالي أروح.. بس انا نسيت وسهرنا انا وناصر لحد ما خدتني نومه, ويدوب صحيت دلوقتي ملقتش سلاحي, وبتصل بجاد تلفونه بيرن ومبيردش, انا خايف يكون حصل حاجة.. انا كده هروح في داهية, منك لله يا ناصر ما انت اللي شربتني السجارة الزفت بتاعتك.
اتوترت لما عرفت ان جاد معاه تلفونه, قولت لعيسى:
_انت, انت متأكد ان جاد تلفونه بيرن, ما يمكن نسيه في حته ولا حاجة, هات رقمه واتصلك بيه انا.
اخدت الرقم واتصلت بيه انا كمان كان بيرن ومحدش بيرد, قولت لعيسى:
_تلاقية مشغول, اصبر شويه وهتلاقيه داخل عليك.
_بقولك ايه انا هروحله البيت, وانت لو جه قوله يتصل بيا.
مشي عيسى وانا استغليت الفرصة, وقربت من التُربة إياها اللي دفنا فيها جاد امبارح, روحت هناك واتصلت بجاد, سمعت تلفونه بيرن, أكيد التلفون لسه في جيب الجلابية, اصل التربة ماهياش غويطة علشان كده سمعت صوت التلفون, خوفت ومعرفتش أعمل إيه, اتصلت بناصر هو اللي هيعرف يخرجنا من المصيبة دي, حكيتله اللي حصل, وقولتله:
_بكلمك وانا واقف فوق التربة, لازم تشوفلنا حل قبل ما عيسى يجي.
_خلاص شوية وهكون عندك, توفيق اوعى لسانك يفلت بالكلام انا عارفك.



رجعت فتحت الكُشك بتاعي ووقفت فيه, قبل ما أفطر حتى.. ما انا مش مطمن وخايف الموضوع يتكشف في أي لحظة.
دقايق ووصل ناصر, أخد كُريك وقالي:
_هات الكُريك بتاعك وتعالى ورايا.
روحت وراه عند التربة إياها وناصر فضل يحفر بسرعة, وانا ساعدته, نزل هو.. وبدأ يحرك جثة جاد علشان يطلع التلفون من جيبه, وقتها ناصر حس ان جاد بيتحرك, وانا كمان شوفته بيحاول يمسك رجل ناصر بإيده, قام ناصر حدفلي السلاح بتاع عيسى, وخرج التلفون من جيب جاد وكسرة, بعدها بصلي لفوق وقالي:
_اسمع يا توفيق خد السلاح ده ووديه كُشك الغفر وخبيه هناك, علشان لما عيسى يدور عليه يلاقيه ويفكر ان جاد مأخدش السلاح بتاعه.
_وانت؟! انت هتعمل؟
مجاوبنيش بصلي وعنيه كلها شر, مشيت وروحت اعمل اللي قالي عليه, خبيت السلاح في الكُشك بتاع الغفر, وانا خارج خبطت في عيسى, وقفني وسألني:
_مجاش جاد يا توفيق؟ انا روحتله البيت قالوا انه بايت في الشغل.
قبل ما ارد عليه تلفوني رن, كان االحج محمود بيقولي:
_اسمع يا توفيق فيه دفنه داخلة عليك كمان كام ساعة, المهم دول ناس غلابة, متاخدش فلوس من حد وانا هحاسبك انت والصبي بتاعك.
_تمام متقلقش انا هجهز التربة واستنى.
قفلت مع الحج محمود, وعيسى سألني تاني:
_انت هنا بتعمل ايه؟
_كنت جاي أسألك عن جاد, قولت تلاقيك رجعت ونايم زي عوايدك.
هز دماغه وهو بيدور على السلاح بتاعه وسط الحاجة اللي في الكُشك, مشيت علشان أشوف ناصر عمل إيه, وكمان اقوله يستنى معايا الجنازة اللي جاية, لقيت ناصر خرج وقفل التُربة إياها توقعت انه كمل على جاد, لما قربت منه حطلي فلوس في جيبي, وقالي:
_دول نصيبك من شغلانة امبارح, ولسه اللي جاي كتير والشغل على كبير.



الفلوس طلعت الخوف من جوايا.. سكت شوية وانا بعد الفلوس, وقولتله:
_ده كل ورقة منهم ب200جنيه, بس انت عملت ايه؟ دا انا شوفته بيتحرك.
زعقلي وقال:
_خلص الكلام في الموضوع ده يا توفيق.. انا ماشي وهعدي عليك بالليل
_طب.. أصل فيه دفنه داخلة علينا بعد ساعة.
_اخبارها إيه الدفنه دي؟!
_راجل وأهله ناس غلابة, دا حتى الحج محمود قالي ماخدش منهم حاجة.
_وماله هستنى معاك, بس مادام أهله ناس غلابة يبقى الجتة تلزمني.
_إيه؟! هتعمل بيها إيه؟ مش قولت هنشتغل على نضيف؟
_هيه عد الفلوس اللي في إيدك يا عم توفيق, الجته تلزمني والدكتور كان قايلي على واحدة بحالتها, وقصادها هخليه يقضيلي مصلحة.
اخدت منه الكُريك وروحت أجهز التربة اللي هندفن فيها الجثة اللي جاية, ما احنا عندنا في وسط المدافن كام تُربة كده زي تُرب الصدقة بندفن فيهم الميتين اللي أهلهم غير مقتدرين, وياما دفنت فيهم ناس من أيام المرحوم أبويا.
جهزت التربة, وشويه ودخلت علينا الجنازة, حتى الناس اللي جات ورا الميت يتعدوا على الصوابع, ما هو الغلبان كده, وهو عايش الناس بتعض فيه واما بيموت محدش بيسأل فيه.
ناصر ساعدهم وهما بينزلوا النعش على الأرض, وانا وهو خرجنا الجثة ونزلنا بيها, والشيخ كان واقف من بره بيدعي للميت.. جسمي قشعر وانا بسمع الدعاء...
خلصنا دفن وخرجنا كنت انا محضر جردلين مايه علشان أرشهم بعد ما نقفل, بس ناصر قرب مني وقالي:
_بلاش ترشماية علشان منتعبش واحنا بنخرجه.
لما قالي الكلام ده انسحبت ومشيت, انا مش موافق على اللي هيعمله, بس مش هقدر أعارضة



روحت أقف في الكُشك بتاعي جالي الغفير عيسى:

_بقولك ايه يا توفيق انا لقيت السلاح بتاعي, يظهر ان جاد مخدوش أصلا, وجاد تلفونه مقفول, وانا هروح دلوقتي.. لما جاد يجي خلية يكلمني.

هزيت دماغي وانا بفكر في العملة اللي عملناها امبارح, شوية وعدى عليا "احمد" أخو غادة البنت اللي اتقتلت زمان, عرفت انه لسه بيزور قبر أخته على فترات هو مبيكلمنيش خصوصًا من بعد ما دخلت السجن, المصيبة ان قبر غادة قريب من القبر اللي رمينا فيه جاد, وجمبهم القبر اللي فيه البضاعة.

شويه كده واهل الميت اللي اتدفن انهاردة مشيوا, وناصر جه ياخد من عندي شوال, قولتله:

_بالنهار كده؟ مش تستنى لحد بالليل؟

_هستنى الواد احمد يمشي وهفتح اخد الجثة, وانت هتراقبلي الطريق لو حصلت حاجة ترنلي.

عشر دقايق وشوفنا احمد خرج من المدخل التاني للتُرب ما هو بعد ما السور اتجدد اتعمل للتُرب مدخلين, المهم ناصر أخد الشوال, وراح يفتح على الجثة اللي هياخدها, أول ما فتح التُربة ونزل, جات عربيه ووقفت عند المدخل التاني للتُرب, اتصلت بيه علشان أعرفه, رد وقالي:

_ما هما دول اللي هياخوا الجثة, هو انت عاوزني أخدها على المكنة بتاعتي من هنا لحد عيادة الدكتور!!

قفل معايا ودقايق ولقيته خارج من التربة بالشوال وراح بيه ناحية الأتنين اللي مستنيينه بالعربية, شوفتهم وهما بيحطوا الجثة في شنطة العربية ومشيوا علطول, ناصر جه قالي:

_اسمع يا عم توفيق, اللي يجيلك ويقولك انا من طرف ناصر, قعده عندك لحد ما ارجع عالمغرب.

_حاضر, بس انا هطلع بإيه من ده كله؟ ولا كله هيصب في جيبك.

_الله, الله عيب تقول كده يا عم توفيق, معقولة انا انساك.. ده انا هبقى جوز بنتك.



مشي ناصر والغريبة ان لحد دلوقتي محدش دور على جاد الغفير, قعدت انا في الكُشك بتاعي لحد غياب الشمس وبدأت الناس تهل, جالي نفرين وقالوا انهم من طرف ناصر وبعدهم نفرين كمان, وكلهم مستعجلين وعاوزين يمشوا, اتصلت بناصر وقولتله:

_ايوه يا ابني انت فين؟ الناس بتوعك جولك, ومستعجلين عاوزين يمشوا.

_يااه دا انا نسيت خالص, ومعايا مصلحة دلوقت, بقولك إيه روح افتح التربة إياها, وطلعلهم كل واحد كيس أبيض وتاخد على الكيس الواحد عشر بواكي, وتعد الفلوس كويس, واوعى حد يشوفك.

قفل معايا وانا وروحت اعمل اللي قالي عليه, اخدت كُريك وكشاف وروحت وانا ماشي وسط الجبانات دوخت شوية وسمعت اصوات ناس بتنده عليا اتلفتت حواليا وانا بقول:

_مين؟.. مين بينده؟

الأصوات عليت وبقيت اسمع ناس كتير بتتكلم بس مكنتش فاهم كلامهم ولا هم عارف بيقولوا إيه, صوتهم اختلط مع اصوات كنت بسمعها زمان, اصوات اطفال بتعيط, وناس بيستغيثوا كأنهم بيتعذبوا وعاوزين اللي يلحقهم, حسيت ان التُربة اللي انا رايحلها بعيدة أوي, وكمان حسيت ان الدنيا كلها اسودت حواليا, بقيت أشوف الميتين بيخرجوا من قبورهم, دوخت وانا ماشي ولسه موصلتش للجبانة, مش عارف إيه اللي بيحصل حواليا, كل اللي انا فاكره ان انا اتكعبلت ووقعت على ضهري, وسمعت صوت همس في ودني بيقول "انت بتأذي العايشين وبتعذب الميتين يا توفيق"

الصوت كان شبه صوت أمي, لما فوقت لقيتني في بيتي, ندهت لأم احمد وسألتها:

_هو ايه اللي حصلي؟ ومين اللي جابني هنا.

_يخويا براحة على صحتك, ده انت من كتر الشقى امبارح وقعت من طولك وسط التُرب وناصر ربنا يكرمه شالك وجابك لحد هنا وجابلك دكتور كمان.

توفيق التربي

_يا شيخة ربنا ياخده, كان يوم اسود يوم ما ابوه جابهولي وقالي اشغله معايا.
قومت ابص من الشباك لقيت عيسى الغفير واقف مع ظابط وأمين شرطة, أول حاجة جات في دماغي يكون موضوع جاد اتكشف, فضلت واقف اشوف هيحصل ايه, لقيت عيسى بيشاورلهم على بيتي وعلى الكُشك بتاعي.
شوفتهم جايين ناحية بيتي, لبست الجلابية وخرجتلهم قبل ما يخبطوا على الباب, الظابط سألني:
_انت التُربي اللي ماسك المنطقة؟
_ايوه , انا توفيق التُربي يا بيه.
_أخر مرة شوفت فيها جاد الغفير كانت أمته؟
_من يومين كده, لما كان في الورديه بتاعته.
_خلاص, متشكرين.
دخلت اتصلت بناصر, علشان أفهم منه اللي حصل امبارح, مردش عليا بس ببص لقيته داخل عليا وبيقولي:
_حمدالله على سلامتك يا عم توفيق, ايه اللي حصلك امبارح ده.. كبرت ولا العفاريت طلعولك تاني؟!
_ما تبطل رخامتك دي, هو ايه اللي حصل امبارح؟
_ولا حاجة روحت افتح التربة لقيتك متلقح قدامها, جبت البضاعة ووزعتها, وقبضت فلوسها, ورجعت شيلتك ووديتك البيت, وده نصيبك من البضاعة بتاعت امبارح, ولسه فيه زباين جاية انهاردة.
_يجوا مين؟ ده الحكومة ماليه المكان بيدوروا على جاد.
_لا ما انا عامل حسابي, وسبتلك البضاعة في الكُشك بتاعك ومتقلقش هكون معاك.
_ما بلاش شغل اليومين دول لحد ما موضوع جاد يهدى علشان نعرف ناخد راحتنا.
_الشغل مش هيوقف, انا عندي بضاعة متلتله جوه, وكمان دي فلوس ناس لازم تتسلم, وإلا مش هيمولونا تاني.
_بقولك ايه ما تروح تقعد مع عيسى وتعرفلنا منه الحكومة وصلت لأيه؟
_بس كده, عنيا.



اما انا عملت نفسي بتمشى وسط الجبانات علشان عيسى مايخدش باله, اصل انا كنت عاوز اخش التربة اللي فيها البضاعة, واشوف معانا كام كيس أبيض. وانا بتمشى وسط التُرب سمعت صوت شخير واحد نايم, مشيت ورا الصوت لقيت واحد نايم جوه تُربة مفتوحة, أصل انا مش بقفل التُربة إلا لما بدفن فيها, وقفت على مدخل التُربة وقولتله:

_انت يا جدع ياللي نايم, هو حد ينام كده في قبر!

صحي وبصلي وغطى وشه بإيديه, شكله خايف مني.. باين عليه متبهدل على الأخر ومضروب كمان, من شكله كده باين عليه واحد من اللي بيقولوا عليهم بتوع ربنا, لما شوفته قولت:

_ده ايه البلاوي اللي بتتحدف علينا دي, هو احنا ناقصين!

ندهت لناصر علشان يخرجه من التُربة, نزل ناصر وسحبه من هدومه, باين عليه الخوف, شاورلنا على بوقه فهمنا انه عاوز ياكل, اديتله بسكوت من الكُشك, اما ناصر اخده وراه على المكنه, قولتله:

_استنى بس, انت واخده ورايح بيه على فين؟!

_جته صاحية.. استنى عليها ليه؟ علفكرة دكتور التشريح حبيبنا هو اللي كشف عليك لما كنت عيان.

ناصر كان متهور المرة دي, اخد الراجل الغريب ده وطلع بيه على دكتور التشريح اللي بياخد مننا جثث الميتين, ناصر راحلة على العيادة إياها, العيادة دي بعيدة عن عنين الحكومة, محدش يعرف مكانها إلا الناس اللي بيشتغلوا مع الدكتور, اول ما ناصر دخل العيادة, ومعاه الراجل العبيط ده دقايق والحكومه طبت عليهم, ساعتها ناصر اكتشف ان العبيط ده هو المُخبر اللي زرعته الحكومة علشان توصل لعيادة دكتور التشريح.

والحكومة قبضت عليهم كلهم, بما فيهم ناصر بس الحمد لله انا كنت بره الليلة دي, اصل انا ياما حذرته من السكة دي, المهم كلهم اترموا في زنزانة واحدة, بس من ساعت ما ناصر اتحبس وانا مبقتش عارف أمشي الشغل ازى؟ المشكلة مش في دفن الميتين, المصيبة في البودرة اللي جوه التُربة تحت الأرض, البودرة بكراتينها لسه موجودة زي ما هي مكنتش عارف اتصرف فيها, وكمان لسه متحكمش على ناصر يعني مش عارف هيخرج امته, ده لو كان هيخرج ومش بس كده ده التاجر اللي ناصر جاب منه البضاعة لو مستلمش فلوسه أخر الشهر ده ممكن يقتلني... وكمان لو ناصر اعترف بمكان البودرة ولا لو جاب سيرة الغفير اللي قتلناه, انا كده هترمي في السجن وبناتي على وش جواز هيتبهدلوا.



أول ما سمعت أذآن المغرب, قفلت الكشك وروحت وقفت على قبر أمي, ما انا كل ما بتضيق بيا الدنيا ببقى نفسي اروح لأمي واشكي لها حالي... اصلها وحشتني اوي, كل مابقف على قبرها بحس ان انا عاوز أحفر وأخرجها وأخدها في حضني, وكل مره بمنع نفسي, لكن المرة دي وبعد ما عدى 3 سنين على موتها, محستش بنفسي إلا وانا جايب الكُريك وبحفر ونزلت التُربة, شغلت كشاف تلفوني وانا بتحركـ في التربة ومش لاقي أي أثر لجثة أمي ولا حتى عضمها ولا بقايا الكفن ولا أي حاجة.

انا عارف كويس الجثة بيحصلها ايه وبتتحلل ازاي, وياما فتحت قبور ودفنت ميتين جمب ميتين, وكنت بلاقي بقايا الجثث, حتى لو عدى على الجثة عشر سنين, بيتبقى منها عضم وبلاقي بقايا القماش بتاع الكفن, لكن جثة أمي ملهاش أي أثر... ده حتى التربة لسه فيها العضم بتاع جثة ابويا, أومال جثة أمي راحت فين؟ اتأكدت ان جثة أمي مش موجودة في القبر, خرجت وانا بتلفت حواليا وبقول:

_معقولة.. معقوله تكون جثة أمي اتسرقت بعد ما رجعتها, وازاي انا مخدتش بالي ان التربة اتفتحت واتقفلت تاني ده انا ببص على مدخل التُربة بعرف التُربة اتفتحت كام مرة, انا بعد ما دفنت امي زمان للمرة التانية وقتها سلمت نفسي للحكومه علطول وناصر اتحبس معايا, أومال مين سرق جثة أمي, ده يبقى أكيد فيه حرامي تالت بيشاركنا من غير ما نعرف, اما فكرت كويس قولت لازم اعرف مين هو, قفلت التربة تاني, وانا بقفلها لقيت حد حط إيده على كتفي, ببص ونورت الكشاف على وشه لقيته ناصر:

_ايه ده ناصر؟! هما خرجوك؟ وايه الدم اللي نازل من كتفك ده؟

_لا, هربت.. هربت من العربية وهي رايحة بينا على المحكمة, وانا بهرب العسكري ضرب عليا نار, بس هربت وجيتلك تتاويني.

توفيق التربى

_اتاويك؟ أتاويك فين؟
_يا عم افتحلي تربة ولا شوفلي أي حته أتاوه فيها.
_محلولة, تعالى معايا.
اخدته وروحت فتحتله التربة اللي فيها البضاعة, وقولتله:
_انا امي اتاخدت من تُربتها يا ناصر, واللي خدها أكيد بياخد جثث من عندنا, قال واحنا اللي اتسجنا..
وانا بكلمة تلفوني رن لقيته الحج محمود التربي, قالي:
_اسمع يا توفيق فيه جنازة جيالك بكرة الصبح بدري, وهبقى أعدي عليك اقف معاك ما انا عرفت ان الصبي بتاعك اخدته الحكومة.
زي ما يكون اللغز اتحل سرحت وانا بفكر بعد ما قفلت معاه, اكيد هو اللي سرق جثة أمي وتلاقيه ياما أخد جثث تانية, ما هو تُربي زيي والحال من بعضه, وعلشان كده انا مأأخدتش بالي ان التُربة اتفتحت واتقفلت تاني, أتاري اللي فتح وشال وقفل تُربي زيي.
ناصر قطع تفكيري وقالي:
_خد رقم التلفون ده, ده الدكتور اللي بيساعد دكتور التشريح اللي مشغلنا, خليه يجي يشيلي الرصاصة, ولو رفض يجي هدده ان انا هسلم نفسي وابلغ عنه.
اخدت رقم التلفون وخرجت من التربة, وقفلتها أي كلام بحيث يدخل هوا لناصر, وكلمت الدكتور جه وخرج الرصاصة لناصر وعمل اللازم ومشي علطول, وانا جبت لناصر هدوم من هدومي, وكمان جبتله عشا وسبته يبات في التربة.
اما انا استنيت النهار يطلع وروحت فتحت التُربة اللي اتدفن فيها الأربعة اللي ماتوا في حادثة الفرح, اتفاجئت لما ملقتش غير اتنين. وكمان فتحت تُربة تانية ملقتش اللي فيها مع انه اتدفن قريب, ومش بس كده دا انا روحت فتحت قبر واحده ست اعرفها سمعت انها ماتت بعد ما انا دخلت السجن بكام يوم ووقتها أم احمد قالتلي في الزيارة ان محمود التُربي أخد مكاني ودي أول واحده هو يدفنها من بعد ما انا اتسجنت.



المهم ملقتش جثة الست دي كمان, رجعت قفلت كل الجبانات اللي فتحتها, واستنيت الجنازة اللي جاية بعد ما جهزت التربة اللي الحج محمود قالي عليها.
ومع وصول الجنازة جه الحج محمود ساعدني في الدفن, وبعد ما خلصنا وكل واحد راح لحالة, انا روحت لناصر وقولتله:
_انا شاكك ان الحج محمود هو اللي بيسرق جثث الميتين وعلشان كده, انا يا إما هراقبه يا إما هراقب التُربة اللي دفنا فيها انهاردة.
_انا هوفر عليك ده كله, الحج محمود هو اللي سرق جثث الميتين وهو اللي عرفني على دكتور التشريح, وهو اللي قالي أجر رجلك للشغلانة ده من زمان.
_اه يا ولاد الكلب... اه يا ولاد الكلب.
معرفتش امسك اعصابي, سبت ناصر وخرجت من التُربة وانا هنفجر وجايب أخري.. بقي انا اترمي في السجن ويتعمل فيا ده كله, وهو شغال من تحت لتحت والناس بتحلف بسمعته.
لما خرجت من التربة شوفت عيال الحج محمود أصل ابوهم بيبعتهم يلموا الزباله اللي وسط الجبانات في شوالات وبيسقوا الزرع وبيملوا زيار المايه وابوهم بيبعتهملي علشان يساعدوني, بس بعد اللي قالهولي ناصر, ولما خرجت وشوفتهم عند التُربة اللي دفنا فيها جنازة انهاردة ومعاهم شوالات الزبالة, شكيت فيهم وروحت ناحيتهم لقيت التُربة مفتوحة, والحج محمود هو اللي بيخرج لهم الجثة علشان يحطوها وسط شوال الزباله وياخدوها على العربية الكر بتاعتهم.
نزلت التربة ومسكته من هدومه وقولتله:
_انت ايه؟ انت اللي وصلتني لكده, انا هقتلك.. انا خلاص عرفت كل حاجة, هبلغ عنك واوديك في داهية.
_طب مادام عرفت كل حاجة روح بلغ, وانت بتبلغ ابقى قولهم ان انت مخبي ناصر في التُربة اللي فيها البضاعة اللي جنب التُربة اللي رميتوا فيها جاد الغفير بعد ما قتلتوه.

توفيق التربى

اول ما سمعت الجملة اللي قالها, نزلت إيدي من عليه ورجعت خطوتين وانا ببصله بخوف, وشفته وهو بيخرج الجثة لعياله, وبعدها خرج هو كمان, وقالي:
_هتطلع يا توفيق ولا نردم؟!
خرجت وسبتهم ومشيت رجعت الكُشك بتاعي, اتخرست... شوفت كل ده بيحصل قدامي وسكت وقولت لازم امشي من البلد دي واروح اي بلد تانيه و اهو اسمي تُربي برضو وكلمت جماعه معرفه يشوفولي شغلانه في الجبانات ، وقررت انسي بعد الهم والغم دا كلو وانا بقيت راجل معدي الخمسين من عمري وبنتي علي وش جواز ومش عاوز شوشره لإن لو اتحبست بنتي ضاعت وكل حياتي ضاعت وقررت اتقبل الوضع وقررت اتخلي عن المقابر دي خالص واشوف شغلانه جنب شغلانه الكشك دي وخلاص بارك الله فيما رزق قمت طاير علي ناصر وقولتله :
_اسمع يا "ناصر" انا همشي من هنا خالص ومعتش ليا عيشه في المكان دا ولا البلد دي قالي بالسلامه يا حمايا بتريقه كدا ، طبعا ما عشان المكان هيخلاله
_طيب.. خد دي المفاتيح بتاعت المدافن كلها كل حوش له باب ومفتاح، حتى مفتاح أوضة التربي بتاعتي معاك، والتربي محمود معاه نسخ من المفاتيح دي كمان ، هاسيبك انا دلوقتي خدت الفلوس بتاعت بيع الكشك وطيرت علي الصعيد وهبدأ حياه جديده وروحت للتُربي صبحي في الصعيد وقولتله انا بتاع جبانات ودي شغلتي من زمان قال علي الله ميضرش خالص هتبقي السمسار بتاع بيع المقابر الفاضيه وكل دا .. فرحت وقولت عادي سمسمار عادي
التربي صبحي مشي بعد ما سلمني المفاتيح، والمدافن أصلا لسة جديدة ومفيش حد اتدفن فيها لحد دلوقتي، وانا ابقى السمسار اللي ماسك الشغل بتاع المعلم صبحي،ودلوقتي بشتغل سمسار وكسيب والجنية بيجري في إيدي متجوز وداخل على الأربعين سنة، وشغلي ماشي اخلص في عمارات فلل كله عقارات واراضي، مدافن دي أول مره اخاف عشان الماضي بتاعي الاسود دا بس مضطر اكمل عشان مبقاش خايف ويثق فيا ومخيبش ظن المعلم صبحي فيا، بس لو بعتهم هيراضيني بقرشين حلوين.

وبدأت اتحرك وسط المدافن واللي لفت نظري لما لقيت حوش منهم الباب بتاعه موارب قربت منه علشان أقفله وقولت يمكن التُربي نسيه مفتوح، ولما قربت من الباب لقيت جوه فيه جروف وأوفة وكمان فيه معلبات فاضية بقايا أكل، دخلت انضفه بنفسي وانا موطي وبلم الأكياس اللي على الأرض شوفت جوه واحدة من العيون كان فيه رجلين معيز بتتحرك وفي اللحظة اللي فيها وقعت عيني على رجول المعيز سمعت صوت معزة جاي من ورايا، من الخضة رميت الزبالة اللي في إيدي واتلفت أبص ورايا علشان أشوف معزة سودة حجمها ضخم وقرونها طويلة، وقتها اتخضيت وجريت برة المدفن.. وانا خارج بسرعة مندفع اتخبطت في عم بيومي التربي ومنظري خلاه يسألني:

_مالك يا توفيق يا ابني؟ مالك خايف كده ليه؟!

كنت باخد نفسي بالعافية ومش قادر اتكلم لحد ما سألني السؤال مرة تانية واللي خلاني ارد لما شوفت في إيده شعر اسود شبه شعر رجلين المعيز اللي شوفتها جوه، قولتله:

_هو إيه اللي معاك ده؟

_ده شعر معيز الشيخ أداهولي وقالي ارمي شوية منه جوة كل عين من عيون التُرب علشان ماأشوفش أهوال القبور وانا بدفن الميتين.

_وبعدين إيه الزبالة اللي جوة المدافن دى؟

_اصل العمال اللي كانوا هنا جابوا أكل ورموا الزبالة على الأرض.

_انا مش مصدق ولا كلمة من اللي انت بتقوله؟! إيه علاقة شعر المعيز بأهوال القبور.

_انا تُربي بقالي عشر سنين وعارف اللي تحت الأرض وياما شوفت حاجات غريبة.. حاجات تشيب شعر الراس، مهما وصفتلك وحكيت عقلك مش هيصدق.

سبته ودخلت المدفن وقعدت انضف الزبالة اللي على الأرض وبعدها قولت اتصل باللي أعرفهم وأعرض عليهم يشتروا مدافن وخصوصًا الناس اللي سنهم كبير

توفيق التربى

اتمشيت وانا ماسك الموبايل وكلمت الحاج "ضرغام" ولأن حظي حلو لقيته بيدور على مدافن علشان ينقل جثث أبوه وأمه ويجيبهم في مدفن واحد وحجز معايا على إنه هيشتري مدفن وقالي أجهز الرخامة اللي هتتحط على المدفن وأكتب عليها مدافن عائلة "ضرغام الملواني" أما بالنسبالي انا كده ضمنت أول حوش هيتباع، أول ما نزلت الموبايل من على ودني بعد ما خلصت المكالمة كنت واقف قصاد باب أوضة التربي، وكان باب الأوضة موارب، ومن خلال فتحة الباب لاحظت حاجة لفتت انتباهي وخلتني أدخل أشوف فيه إيه جوه ولما دخلت كانت الأوضة ريحتها وحشة أوي وفيها جرادل مايه وجاروف وقماش قديم متقطع وعنده قماش أكفان وفيه قماشة بيضه مش نضيفة متعلقة على الحيط ومكتوب عليها حروف بحبر ممسوح وكمان فيه كيسة سودة مليانة شعر معيز أسود.. قرفت من المنظر والريحة وخرجت وانا بقول "ما هي أوضة تربي زيي بس غريبه" حتى من كتر القرف قعدت أتف وأرجع، جه عليا عم بيومي وقالي:

_ألف سلامة عليك يا معلم توفيق، خد اشرب كوباية المية دي، وتعالى معايا.

اتحسنت شوية وبدأت أكح وأنا بتكلم وقولتله:

_ألا قولي يا عم بيومي انت متجوز ومخلف؟!

ضحك وقالي:

_اه وعندي طابور عيال، أومال بشقى وبشتغل علشان مين؟! ما هو كله علشانهم.

_أومال هي أوضتك معفنة كده ليه؟

_ما هي جواها عدة الشغل، أما انا فأنا بنام هنا على الكنبة دي، وبعدين دي أوضة تُربي مستني ريحتها تكون عاملة إزاي! وأكيد أم العيال مش هتيجي تنضفهالي.

رغم إني مستغرب تصرفاته إلى إن انا بدأت أساعدة وأسقي معاه الزرع وسألته:

_انت بتشتغل هنا بقالك قد إيه؟

_من أول ما المعلم صبحي اتفق مع المقاول وانا اللي شرحت للمقاول عن هندسة التُرب وكنت معاهم من أول يوم لحد ما خلصوا.



قال الجملة دي وضحك وهو بيسألني:
_معقول! لسة قلقان مني وخايف! على العموم متقلقش، شوف انا اكبر منك لكن اقدر اشتغل كويس أوي وجربني.
انا صحيح مش هثق فيه واشغله معايا وبالذات بعد اللي شوفته في أوضته حتى عرضت عليه اساعده في تنضيف الأوضة بس هو رفض.
قعدت في المدافن لحد غياب الشمس وعملت الرخامة بتاعت الحج ضرغام وحطيته على المدفن اللي اخترتهوله.. وكنت متفق مع رجل اعمال كبير من طرف المعلم صبحي هيجي يشوف المكان علشان يحجز مدفن وفعلا جه واتفقنا وحجزتله مدفن ودفعلي كاش ودفع قبل ما نمضي أي عقود، لكن الغريب بقى بالليل لما اتصل بيا الحج ضرغام وباين عليه صوته متغير وبيعيط وقالي:
_اسمع يا توفيق شوفلنا التُربي اللي عندك خليه يجهز مدفن، أصل ابني ابنه مات طفل عنده 8 سنين غرق في حمام السباحة، المهم الدفنة هتكون بكرة الصبح وانا قولت هندفن عندك.. بمجرد ما مضيت العقد مع المعلم صبحي وحصل اللي حصل.
_البقاء لله، اعتبر كل حاجة جاهزة متقلقش.
دي أول حالة وفاة هتدفن هنا هتكون لطفل ومات غرقان، للحظة سكت وكنت حاسس إن دماغي هايقف من كتر التفكير، بعدها طلبت من عم بيومي إنه يجهز تربة وفهمته على كل حاجة، استغربت لما لقيته اخد موبايله وراح يتكلم بعيد علشان مسمعوش وطول في المكالمة وده خلاني أقرب منه والمفاجئة لما سمعته وهو بيقول:
_تخليها تجيلي بكرة بالليل، تيجي لوحدها ومتطلعش أي صوت وتخليها لما تقرب من الترب ترنلي وانا أطلع أدخلها.. ومتنسيش تأكدي علها تيجي لوحدها.
رجعت لورا وانا بفكر هو الراجل ده بيعمل إيه؟ يكونش بيجيب ستات مع إنه عجوز وشكله مفهوش صحة، بعدت عنده يظهر إنه حس بحركتي.. لقيته قفل المكالمة وبدأ يجهز التُرب اللي هيدفن فيه الطفل اللي هيتدفن بكرة، بس يترى مين دي اللي جياله بكرة، انا هراقبه من غير ما يحس لحد ما أعرف ناوي على إيه.



نمت الليلة دي في المقابر جمب حوش مدافن عيلة الحج ضرغام الملواني.
وأول ما روحت في النوم لقيت نفسي بنضف عين من عيون الترب، وكنت بنضفها ليا انا علشان اتدفن فيها وبعد ما خلصت نمت جواها بطولي وقتها سمعت صوت قريب من ودني بيقول:
_وأخيرًا دخلت لعالمنا.
وشوفت في وسط الضلمة عيون... عيون لونها اسود بتلمع وحواليها شعر كثيف، بس مكنتش شايف أي حاجة غير الضلمة، وبدأت أرد على الصوت ده وأقول:
_انتوا مين؟ انا فين؟!
بعد الجملة دي كل الأصوات اختفت، والدنيا بقت هادية ومفيش أي صوت.. حتى كمان مكنتش قادر أتحرك، وفضلت على الحال ده لحد الصبح وانا مش عارف هو انا كده صاحي ولا نايم وبحلم،
وفجأة سمعت صوت عم بيومي وهو بينادي عليا أما انا مكنتش قادر انطق لحد ما صوته قرب مني وبقى واقف فوق دماغي وقالي:
_إيه ده؟ إيه اللي جابك هنا يا توفيق؟
وبدأ يسحبني ويخرجني من التربة، ما انا مش عارف هنا ازاي اصحي ألاقي نفسي جوه تربة.. عم بيومي سألني:
_انت كويس.. بقى حد ينام جوه تربه؟!
_انا ايه اللي جابني هنا؟
_خلاص متشغلش بالك خلينا نشوف الدفنة اللي قربت توصل دي.
_ عندك حق خلينا نشوف حالنا.
ومع حضور الدفنة وأهل الطفل اللي توفى كان الكل عمال يتكلم عن الطفل اللي مات غرقان وأمه كانت منهارة من العياط، المشهد يقطع القلب.



المهم خلصت الدفنة والمعلم صبحي كلمني وقالي:
_اسمع يا توفيق "سميرة" هانم هتعدي عليك توريها المكان وتديها مفتاح مدفن من المدافن وهتديلك عمولتك انت والتُربي.
_حاضر.. حاضر اللي تؤمر بيه يا معلم.
كنت حاسس بصداع هيفرتك دماغي ومن كتر ما زعلت على العيل اللي مات ده روحت وقفت على تربته وغصب عني عيطت، الحج ضرغام لسه مشتري المدافن وبالسرعة دي يموت حفيده.. فجأة جسمي قشعر وخرجت من المدفن بسرعة وانا خارج لقيت واحدة ست شيك أوي استنتجت إنها هي سميرة هانم ومعاها بنتها شابة جميلة سلمت عليهم واتكلمت معاهم واتفقنا وادتني عمولتي وسلمتها المفتاح ولما مشيت.. انا كمان روحت قعدت على قهوة طول النهار وعرفت كمان أجيب زبون ما هو السمسار الشاطر بيلقط الزبون عن بُعد، بس رجعت تاني على الترب زي ما وعدت المعلم صبحي إن انا مش همشي إلا لما أبيع كل المدافن، وكمان انا راجع علشان اشوف بيومي مستني مين، المهم رجعت من غير ما بيومي التربي يحس بوجودي وانا معدي من قدام أوضته كان الباب مقفول وفيه دخان خفيف كده خارج من الأوضة ومكنتش سامع أي أصوت، مش عارف إيه اللي ورا الدخان ده وجه في دماغي كذا حاجة، وخوفت احسن تكون الأوضة بتتحرق وعلشان كده قعدت أخبط على الباب وهنا خرج بيومي وفي إيده شيشة ونفخ الدخان في وشي واداني الشيشة وقالي:
_روح اقعد هناك وخد الشيشة سلي نفسك.
اخدتها منه وهو رجع أوضته وقفل الباب وانا اخدت الشيشة وقعدت على الكنبة ونمت زي إمبارح ومحستش بأي حاجة بتحصل حواليا، والمفاجأة بقى لما صحيت الصبح ولقيت نفسي جوه مدفن من مدافن الترب، دي تاني مرة تحصل.. بس المرة دي خرجت من الترب لوحدي، معرفتش انا جيت هنا ازاي، كنت حاسس بجرح في صدري قلعت الجلابية والفلنة ولقيت مرسوم على صدري جدول تسع خانات جواه حروف وعلامات اكس والجدول مرسوم على صدري زي الوشم فضلت أمسحه بالمنديل لكن مفيش فايدة مابيتمسحش.



وفي عز ما انا مشغول بالجدول ده كان تلفوني عمال يرن.. رديت بسرعة وانا بلبس الجلابية وكان المعلم صبحي هو اللي بيكلمني ، أول ما رديت عليه قالي:

_انت فين يا توفيق؟ مبتردش ليه ده انا متصل بيك فوق العشر مرات، بقولك إيه تخليك في الترب ومتتتحركش من مكانك، اه وتخلي التُربي اللي عندك ده يجهز عين من اللي عيون المدفن اللي اشترته سميرة هانم.

_ليه؟ خير إيه اللي حصل؟

_بنتها.. بنتها ماتت، غرقت.

_اهدى بس يا معلم صبحي وفهمني ماتت ازاي؟

_بنتها غرقت بسبب بخار المآية وماتت وهي جوه حمام بخار وبيقولوا انها كدة ماتت غرقانة وفيه اللي بيقول اتخنقت من بخار المايه أهو قدرها كده.

_خلاص خلاص احنا هنعمل اللي علينا، والباقي على ربنا.

دي تاني وفاة تيجي المدافن هنا وبرضو الحالة ميتة موتة غير طبيعية، قولت لبيومي يجهز الترب، وانا معرفتش ارجع البيت وعمال احسس على صدري ومش فاهم الجدول ده جالي منين ولا مين اللي عملهولي وطول النهار وانا من وقت للتاني بحس برعشة في جسمي وبعد ما تمت الدفنة واليوم عدى عادي جدًا بس امبارح انا مش فاكر إيه اللي حصل، انا كل اللي فاكره إن انا كنت مستني اشوف الست اللي جاية لبيومي وهو اداني الشيشة اشرب منها وبعدها انا مش فاكر إيه اللي حصل، روحت اتسحبت ودخلت اوضته لما لقيته مشغول وبينضف الحوش وانا بفتش في أوضته كنت أقصد ألاقي حاجة أعرف منها الراجل ده كان بيعمل إيه مع الست امبارح، بس وانا بدور بيومي جه وفتح الباب عليا وشافني وقتها بصلي بخبث وقال:

_الله هو انت هنا يا توفيق؟! بس انت بتعمل إيه هنا؟!

_ها.. أصل.. انا كنت عاوز الشيشة كنت هعملنا حجرين نتسلى عليهم.

_اااه، طب خليها عليا انا.. تعالى وانا هعملك الحجرين.



وانا خارج معاة برة الأوضة شوفت على الأرض ورا الباب حتة قماشة بيضة شبه قماش الكفن ومرسوم عليها جدول تسع خانات شبه الجدول اللي على صدري بالظبط ويمكن يكون هو نفس الجدول بس إيه العلاقة؟! أكيد بيومي ده ورا كل اللي بيحصلي، انا حتى مقدرش أمشي من هنا اليومين دول.. قعدت مع بيومي وشربنا شيشة كتير وكنت بحاول أخلع منه بأي طريقة علشان أدخل أوضته مره تانية بس هو كان حريص على إني مرجعش للأوضة تاني، وبالليل لاحظت إن بيومي إختفى واختفاؤه ده خلاني أدور عليه وأتأكد إنه خرج ومش موجود علشان أقدر ادخل أوضته وأقلب فيها براحتي، المهم بدأت اتسحب واتحرك في المكان ومع حركتي شميت ريحة شعر بيتحرق وده يعتبر دافع قوي يخليني امشي ورا الريحة وفعلا اتحركت شوية ووقفت ورا شجرة لما شوفت ضل بعيد بيتحرك خوفت ما هو اصلا المكان كله بالليل مرعب ولأني خايف متحركتش من مكاني وفضلت مستخبي جمب الشجرة وفجأة حسيت بإبرة بتتغرز في كتفي وفي لحظتها الدنيا ضلمت قدام عينا وفوقت مع طلوع النهار، فوقت وانا جوه القبر وحواليا شعر محروق وريحة القبر تقرف، وكمان جسمي كله ساقع وبيترعش ده انا كأني رجعت من الموت، وبرضو من كُتر الخوف منطقتش بولا كلمة رغم ان انا سامع عم بيومي بيندهلي وصوته بيقرب لحد ما لقيته واقف فوق راسي وبيقول:

_الله إيه ده يا توفيق؟ انته نايم هنا؟ بقى انت سايب الدنيا كلها وجاي تنام هنا... جوه تربة! ومش خايف؟! على كل حال روح ارتاح في بيتك ولما تخف ابقى تعالى.

قومت وخرجت من التربة وانا بنضف هدومي وحاسس إن جسمي كله مدغدغ، قولت لعم بيومي:

_انا فعلا تعبان أوي، انا هروح أريح في البيت واشوف كده هقدر أجي بالليل ولا لأ؟



خرجت من المدافن على اساس إن انا هروح البيت لكن الحقيقة إن أنا رجعت واستخبيت بحيث إن عم بيومي مايشوفنيش وفضلت مستخبي لحد ما زهقت وكنت خلاص همشي لكن لما ظهرت واحدة ست داخلة الترب خلتني أغير رأيي وخصوصًا لما شوفت شكلها وهي لابسة العباية السمرا الضيقة وبتطرقع اللبانة ببقها ولا شعرها اللي نازل من تحت الطرحة اللي بتلمع ودي أكيد مش مرات بيومي دي شابة صغيرة وكمان وهي داخلة هو كان مستنيها ودخلوا الأوضة بس سابوا الباب مفتوح، وبعد دقايق خرجوا وهيا ماسكة كيسة سودة وهو معاه الأوفة والجروف ومشيوا ناحية قبر بنت مدام سميرة وانا مشيت وقربت من الحوش لكن مقدرتش ادخل وبدأت اسمع صوت الحفر، مرضتش اتدخل ولفيت من ورا الحوش وبقيت شايف كل حاجة بوضوح وهنا عم بيومي قال للبنت اللي معاه:

_روحي يا "سوسن" عند المدخل شوفي احسن يكون فيه حد جاي.

خرجت البنت وهنا عم بيومي خرج جثة البنت وكشف عن وشها وبدأ يكشف عن جسمها واخد اجزاء من شعرها ولما رجعت سوسن ادالها حاجة حديد شبه الإبرة بس على كبير وهي بدأت تسخن الإبرة على مسدس نار اللي بيتولع بيه البوتاجاز ولما خلصت بيومي أخد منها الإبرة وبدأ يمشيها على صدر الجثة بس واضح هو عارف بيعمل إيه ومش بيعمل كده بشكل عشوائي، المهم فضلت مراقبة لحد ما الصورة وضحت قدامي ولقيته بيرسم على صدرها وشم زي اللي على صدري وبرضو من تسع خانات، الكلب ده معندوش قلب، ده مش بني آدم.. انا دلوقتي بس عرفت انا كل مرة بنزل الترب إزاي!

لما خلص اللي بيعمله فتح إزازة صغيرة ونزل جوة الجدول حاجة سائلة زي الماية وبلون الدم ورمى الإزازة وبعدها جاب قماشة من قماش الكفن وحطها على الرسمة بحيث يطبع الجدول بكل تفاصيله على القماشة، ولما خلص رجع الجثة جوة الكفن ودفنها مرة تانية.



وجات سوسن جمعت الحاجة وقام بيومي وأخد معاه قماشة الكفن اللي طبع عليها الجدول وراح ناحية أوضته، انا ملحقتوش، لكن سوسن راحت وراه ودخلوا الأوضة وسابوا الباب مفتوح وبعد شوية لقيت سوسن خرجت وانا مشيت وراها بس ملحقتهاش، وقتها رجعت على البيت وقررت أروح لشيخ صاحبي بيعالج بالقرآن وبيعرف يفرق بين أنواع السحر والمس وطرد الجن والشياطين وكمان بيعمل رقية شرعية، المهم استنيت لحد المغرب ورحتله وأول ما قابلته قولتله:

_ازيك يا احمد، انا عارف ان انا غبت عنك كتير.

_كويس إنك افتكرتني يا جدع، مالك كده إيدك سخنة وجسمك مطلع حرارة مش عادية.

ضحكت وانا بقوله:

_إيه هتقولي عليك عفريت وتعالى اطلعهولك؟!

_بس انا مبهزرش.. انا بتكلم جد، انت فيك حاجة مش طبيعية.

_انا مش هخبي عليك انا اصلا جايلك علشان كدة.

وطلبت منه يدخلنا مكان مقفول وأول ما دخلني الأوضة فتحت هدومي وكشفت قدامه الجدول المرسوم على صدري، وقتها احمد قرب مني وهو بيدقق نظره على الرسمة اللي بمجرد ما شافها ملامحه اتغيرت والتكشيرة غطت وشه وكأنه اتخض من اللي شافه وسألني:

_إيه ده؟ ومين اللي رسمهولك؟

_التربي.. التربي اللي بيشتغل معايا.

وبدأت أحكيله كل حاجة، وسألني عن شوية حاجات وبعدها حسس بإيده على الجدول وقالي:

_انت مش فاهم خطورة الموقف، التربي ده دجال، انا متأكد من اللي انا بقوله ده دجال ودجال تقيل أوي كمان، الجدول ده مايعملوش إلا واحد متمكن وعارف هو بيعمل إيه؟

_ايوه بس انا مش فاهم حاجة وتلاقية رسم الجدول ده على جسم العيل الصغير اللي اتدفن أول واحد في المدافن وليه كل اللي بيشتري مدفن بيموت حد من أهله، وغير ده كله يعني هو لو بيعمل سحر على جثث الميتين رسم الجدول على صدري انا كمان ليه؟

_لأن أخرة ده كله هيقتلك.. هو مستني يكمل 8 جثث وانت التاسع، الجدول من تسع خانات وهو عمل اكس على أول مربعين في الجدول وعلى المربع التاسع وزي ما قولتلك انت التاسع، والأتنين هما الجثتين اللي رسم عليهم.



_يا احمد.. يا أحمد ساعدني، انا خايف أوي.. طب هو أصلا بيعمل كده ليه؟ عاوز يوصل لأيه.
_عاوز يسخر تسعة من الجن، ده بيستخدم سحر قديم كنت شوفته زمان عند ساحر عجوز ووقتها معرفش يوصل للي هو عاوزة والسحر فشل ومكملش وقتها هو مقدرش على طلبات الأسياد.
وقفت وانا في حالة صدمة من اللي انا بسمعه، وفي اللحظة دي تلفوني رن وكان المعلم صبحي قولتله:
_أيوه يا معلم، تؤمر بحاجة.
_انت فين؟ انت لازم ترجع الترب دلوقتي الحج ضرغام هينقل جثة والده ووالدته ويجيبهم المدافن عندنا وانت لازم تكون موجود وتوقف مع التُربي.
_حاضر.. حاضر يا معلم صبحي في عشر دقايق هتلاقيني هناك.
قفلت معاه وقولت لأحمد:
_فيه جثتين هيوصلوا المدافن النهاردة، بس دول كانوا مدفونين في مدافن قبل كده.
_بص يا توفيق دول مفيش منهم قلق، هو مش هيعرف يستخدمهم في حاجة هو بيختار جثث معينة، وبعدين متقلقش انا مش هسيبك، بس انت كمان لازم تساعدني ادخل أوضة التُربي، وهناك يمكن أوصل لحاجة.
_خلاص خليها على الله ثم على العبد لله، بس خليك جاهز لما أكلمك تجيلي.
اتفقنا انا واحمد، وبعدها رجعت التُرب تاني وانا داخل لمحت القفل على باب أوضة عم بيومي ولما دخلت عند مدفن الحج ضرغام كانوا الجثتين وصلوا وبيدخلوهم جوه عيون الدفن في وجود عم بيومي والحج ضرغام وأول ما خلصوا والكل مشيوا روحت انا اتصلت بأحمد وقولت لعم بيومي إن فيه حد جاي عشان يشتري مدفن، وقتها طلع فوق الأوضة وفضل يرش حاجة كده شبة الرماد.
وبعدها قالي:
_هو الراجل اللي هيشتري المدفن عجوز ولا صغير؟!
_وهو ده هيفرق في إيه.
_علشان مساحة القبر اللي هفتحه.
_انت بتهزر يا عم بيومي؟ ماتعملش أي حاجة وبعدين الراجل لسة عايش مامتش.. ولا هيجيلنا برجليه علشان ندفنه.
_دمك خفيف يا توفيق، بس ياريت تفتكرني حتى ب100 بقشيش.
_انت مبتشبعش، روح افتح أوضتك وهات جرادل الماية خلينا نسقي الزرع.



كده انا خليته يفتح لنا باب أوضته، وبعد دقايق وصل أحمد وانا دخلته أوضة بيومي وقعدت اتكلم مع بيومي واشغله ببحيث مايرجعش الأوضة ويشوف احمد، المهم لما خرج احمد كلمني وقالي إنه هيستناني على القهوة، وانا كنت قلقان علشان كده سبت بيومي وروحت لأحمد وقولته:

_خير عرفت توصل لحاجة؟!

_اه.. زي ما كنت متوقع ده طلع ساحر كبير دجال، انا صورت كل حاجة بالموبايل، وهعرضها على واحد اعرفه كان دجال وتاب، وانت دورك تحط بيومي تحت عنيك.

_انت قلقتني.

_طول ما انت مراقبه احنا هنلحقه قبل مايعمل أي حاجة.

رجعت المدفن ودماغي عمال تودي وتجيب، بس وانا داخل الترب شوفت البت سوسن خارجة من جوه وبيومي واقف هناك جوه قولتله:

_هي البنت دي كانت بتعمل إيه هنا؟

_دي بنت غلبانه بتيجي تاخد حسنتها، ولا انت مبتعملش لله.

_حقك، حقك يا عم بيومي.

فجأة وإحنا بنتكلم دخلت علينا دفنة، قولتله:

_إيه ده يا عم بيومي انت مقولتليش إن فيه دفنة النهاردة؟

_قبل ما انت تيجي كان المعلم صبحي باع مدفن لمعلم تاجر عقارات صاحبه، والتاجر مات النهاردة الله يرحمه بقى.. وقبل ما انسى المعلم صبحي جاي مع الدفنة.

وقتها سألت نفسي يترى الراجل ده مات إزاي هو كمان؟! والإجابة جاتلي بسرعة لما سمعت الناس اللي جايين مع الجنازة بيقولوا إن المرحوم مات جوة البانيو بسبب ماس كهربائي كان متوصل غلط والأسلاك كانت نازلة في المية والمرحوم كان بيستحمى وكمان هو راجل كبير بالتالي مستحملش ولا قدر ينقذ نفسه.

جسمي قشعر من اللي سمعته، وفي الأخر فيه رابط بين كل اللي اتدفنوا هنا في مدافن المعلم صبحي كلهم ماتوا موته مش طبيعية، المهم وقفت مع عم بيومي لحد ما خلصت الدفنة وقررت استنى وأقعد هنا أراقب المدفن بتاع التاجر اللي اتدفن النهاردة أحسن بيومي يعمل فيه حاجة وفي الوقت ده بيومي كان قاعد في أوضتة وقافل الباب على نفسه وفيه دخان طالع من الأوضة، والدخان ده ريحته تقرف كأنه بيحرق عضم ميتين، طبعا اتصلت بأحمد وحكيتله وقالي لازم أفضل صاحي طول الليل واركز أحسن تحصل حاجة كده ولا كده، واتفقنا إننا بكره هنروح للساحر اللي تاب، لحد دلوقتي وصل للمدافن 3 جثث خايف اطلع انا الجثة التاسعة.



وانا قاعد براقب مدفن التاجر بدأت أسمع صوت شهقات مكتومة، زي ما يكون حد محبوس في مكان ضيق ومش قادر يتنفس، وكمان الصوت عمال يعلى والصوت ده جاي من المدافن خوفت ومتحركتش من مكاني وقولت كلها شوية والصوت ده يختفي لكن مفيش فايدة الصوت مستمر وبيعلى، وهنا اتحركت شويه وسط المدافن لقيت الصوت طالع من عين مفتوحة وكمان لما قربت لقيته قلب على صوت شخير، شغلت فلاش الموبايل وقربت من العين اللي جاي منها الصوت وشوفت الصدمة، شوفت رجل عجوز بدقن وشكله يقرف من كتر ما هو متوسخ ومش نضيف ونايم جوه عين التُرب، أول ما صحيته فتح عنيه وهرب مني وجري خرج بره وانا جريت وراه علشان ألحقه وأعرف هو مين بس ملحقتوش وكان خايف مني ولما رجعت على المدافن تاني، لقيت بيومي واقف في وشي وبيقولي:

_متبقاش تجري ورا أي حاجة تشوفها طول ما انت هنا، وخليك في حالك.

_ده كان نايم جوه مدفن، ده مجنون ولا إيه.

_انت قولتها بعضمة لسانك تلاقيه واحد شارب وسكران ولا عبيط ومش دريان بنفسه.

بعد اللي شوفته ده بقيت قلقان أكتر، رجعت أراقب مدفن التاجر والصبح بدري جات سميرة هانم تزور قبر بنتها بس الغريب بقى وهي داخلة الترب كانت سوسن خارجة من عند عم بيومي، ومدام سميرة شافتها وجات سألتني:

_هي البنت دي إيه اللي بيجيبها هنا؟!

_هو حضرتك تعرفيها؟

_اه.. دي الشغالة اللي كانت عندي، جبهالي المعلم صبحي اشتغلت عندي كام يوم وبعد اللي حصل لبنتي مشيت وسابت الشغل.

_دي بنت غلبانة، عم بيومي بيلملها الصدقة وبيديهالها.

_اه، أصل انا مكنتش أعرف، خد أديلها دول.

سابتلي مبلغ اديه لسوسن ودخلت وقفت فوق قبر بنتها، أما انا فأنا روحت لأحمد صاحبي زي ما اتفقنا وأخدني وروحنا سوا للساحر التايب اللي قالي عليه، ولما وصلنا لقيناه راجل مُسن وقاعد على كنبة قدام بيته وجمب منه مصحف وفي إيده سبحه ووشه يوحي بإنه راجل طيب



قربنا منه وسلمنا عليه، وقعدنا وبدأت اتكلم وأحكيله كل حاجة وكشفتله عن صدري ولما شاف الجدول شاور ناحيتي وانا قربت منه وبدأ يحسس على الجرح ويقرأ الحروف اللي جوة الجدول، وبعدها قطع حته من الجلابية علشان يشوف لو فيه حاجة تاني مكتوبة جمب الجدول وفي النهاية قالي:

_انا كده خلاص خلصت.

احمد قاله:

_طمنا يا شيخ قولنا فيه إيه؟

_اسمعوا انتوا الأتنين وافهموا كويس الجدول ده اسمه جدول التسخير بيعملوا الدجال ويقدمه بإعتباره قربان اسمه قربان شيطاني وبعد ما ينفذ شروط القربان بيقدمه لشيطان اسمه ميمون الأكبر وده هيسخر نفسه لخدمة الدجال لمدة عشر سنين، وميمون الأكبر بيضر مابينفعش حد، يعني بينفذ كل حاجة فيها شر وأذى للعباد، ولو بيومي معرفش يتعامل معاه ويقدمله القرابين اللي هيطلبها بعد كدة هيأذي بيومي نفسه ويقتله كمان.

كنت مصدوم من اللي انا بسمعه وعلشان كده سألت:

_معنى كده إن بيومي ده دجال كبير؟

_قولي هو متجوز؟ وعجوز ولا صغير؟ وبيستخدم حمام ولا لا؟ وكمان هو بيشرب لبن؟ علشان تبقى عارف صفات الدجال هي هي صفات الكافر.. وراقبه وشوف بنفسك!.

اخدت عشر ثواني أفكر، لكن أحمد قطع تفكيري لما قال للشيخ:

_يا شيخ خلينا في المهم، دلوقتي توفيق يعمل إيه؟ ومعنى الحروف اللي في الجدول إن توفيق هو الجثة رقم 9؟؟

_ايوه كلامك صح، الحل بين إيديك تخليه يقرأ قرآن ويصلي ومايروحش المدافن دي مرة تانية ويسلم أمره لله.

_وكده بيومي مش هيقتله؟

_بيومي هو الوحيد اللي يقدر يوقف اللي هو بيعمله وربنا فوق كل شيء.. وعلشان كده يا توفيق بقولك قرب من ربنا ومحدش هيقدر يأذيك لا بيومي ولا غيره.

_انا لازم اقول للمعلم صبحي، ما هو مايعرفش حاجة.

قومت وسبتهم ومشيت من غير حتى ماأستئذن، وأحمد جه ورايا، قولتله:

_هو الشيخ بتاعك ده مش هيعرف يعملنا حاجة.

_طب استنى.. استنى انت بتجري ليه؟

انا فعلا بمشي بسرعة حتى المكان اللي خرجت منه مش هو نفسه اللي دخلت منه وكمان الطريق مختلفة ومفيش أي حد وانا مكمل في الطريق دي وماشي بسرعة واحمد ماشي معايا فجأة انا وقعت في حفرة عميقة ضلمة وانا بصرخ بعلو صوتي، ولما وصلت الأرض ظهر قدامي بيومي التربي وقرب مني وشق صدري ووقف قدامي وهو رافع إيديه وإيديه بتنقط دم وهو عمال يضحك وفرحان وانا بصرخ وبطلع في الروح



وفي اللحظة دي فتحت عنيا وفوقت لقتني مرمي على الأرض واحمد بيفوقني والساحر التايب حاطط إيده على راسي وبيقرالي قرآن، فوقت وانا مش قادر ابلع ريقي وقعدت اشرب ماية وبعدها جاتلي مكالمة
وكان المعلم صبحي هو اللي بيتصل، وانا قولتله:
_يا معلم فيه حاجة مهمة انت متعرفهاش التربي اللي عندك طلع دجال وساحر كبير.
_انت بتتكلم جد؟ وانت عرفت منين؟!
_ده انا ربنا نجاني وكشفته على حقيقته، انا لما كنت ببات هناك كنت بصحى وألاقي نفسي جوة الجبانات، وكمان لقيت جدول مرسوم على صدري واكتشفت إن هو اللي كان بيدخلني الجبانات وهو اللي رسم على صدري وبيرسم على صدر الجثث.
_انا هوديه في ستين داهية المهم انا عاوزك تروح المدافن دلوقتي علشان فيه زبون جاي، أما بيومي ده انا معرفش هو اختفى على فين وموبايله مقفول.
_خلاص متقلقش انا هكون هناك دلوقتي حالاً.
سبت أحمد وروحت الترب وهناك أول ما دخلت لقيت اتنين شباب مستنييني نزلوا فيا ضرب وربطوني في كرسي جوه أوضة بيومي وبعدها بيومي جه وقطع الجلابية عند صدري علشان يظهر الجدول وقالي:
_انت عرفت كل حاجة، وانا كنت ناوي اقدم جثتك القربان التاسع بس حصل خير هتبقى القربان الرابع.
بعد ما قال الجملة دي جاب مشرط وإبرة كبيرة وحطهم قدامي، وجاب شعر من شعر المعيز وسابه قدامي وبعدها جاب سكينة كبيرة وقال:
_لما تموت كلنا هنستخدم جثتك وهدفنك هنا، ما هوماينفعش حد يعرفلك مكان.
كل ده وهو بيسن السكاكين كأن اللي قدامه دي دبيحة مش بني آدم، ومستنيين يطلعوا لحمتها..
وانا في الوضع ده افتكرت لما الشيخ قرأ عليا قرآن وشفت نفسي بقع في حفرة وبيومي كان هيقتلني، المهم هو قعد يلف حواليا وجاب كفن جديد ولفني بيه بعد ما قطعلي الجلبية، فضلت اترجاه واقوله يسيبني لكن هو مكمل وولع بخور في كوباية وريحته تقيله، ووحشة جدًا زي ريحة جثث الاموات، قرفت من الريحة وقعدت أصرخ وأزعق يمكن حد يسمعني ويجي يخرجني من هنا، وكان باب الأوضة مقفول وبيومي مسك المشرط وقعد يقطع في الجلابية ويكتب على جسمي طلاسم ويعمل رسومات غريبة وقالي:
_انت خلاص وقعت تحت من لا يرحم، وهو انت فاكر إن التلات جثث اللي جم اتدفنوا هنا دول كانوا صدفة، تبقى غلطان، دول متخطط لهم من قبل ما يموتوا.



_سيبني سيبني، انت عاوز مني إيه؟
ضحك ومردش عليا وقال للشابين اللي معاه:
_جهزتوا الحفرة؟ طب يلا يلا هاتوه.
دخلوا اخدوني وانا ملفوف بالكفن، وخرجوا بيا من الأوضة ورموني في حفرة مجهزينهالي جمب السور وفي اللحظة دي من حسن حظي جه تفتيش على تراخيص المنشآئات الجديدة، وسمعت الموظف بيقول لبيومي: _المدافن دي ملك للمعلم صبحي؟
_أيوه يا بيه وانا التربي اللي ماسك الشغل هنا.
_فيه يافطة برة مكتوب عليها مدافن للبيع، يعني لسه فيه مدافن متباعتش، واحنا عاوزين نشوف التراخيص وعقود بيع المدافن اللي اتباعت.
_هكلم المعلم صبحي وهو يجيب لحضرتك كل الأوراق اللي تطلبها.
لقيت بيومي جه وقال:
_سيبوه مرمي هنا زي الكلب واختفوا انتوا احسن دي فيها تفتيش وحكومة.
ولما هربوا البلطجية اللي معاه لقيت فرصة أهرب وفكيت نفسي وهربت وانا لافف جسمي الكفن خرجت بسرعة وانا حتى مش قادر اقف حتى اغمى عليا في الشارع والناس فوقوني، أول ما فوقت كلمت احمد علشان يجيلي وحكيتله كل اللي حصلي من أول ما جيت هنا، وبعد ساعة كده جالي واخدني عنده في البيت اخدت دش وغيرت هدومي وقتها احمد قالي:
_الدجال النجس كان عاوز يقتلك، بس انا حاسس إن المعلم صبحي له يد في الموضوع.
_ازاي يعني؟
_هو عرف حاجة عن المبالغ الحقيقية اللي انت اخدتها من السكان في سمسرة الشقق اللي بعتهاله قبل كده؟
_لا.. لا أبدًا ولا يعرف حاجة.
_لا.. ده شكله عرف وبينتقم منك بطريقة وسخة.
سكت وسألت نفسي هو ممكن يكون عرف؟! أيوه بس إيه اللي خلاه يسكت لحد دلوقتي؟ قولت اروح ابلغ عن التربي واللي عمله فيا وفي جثث الميتين اللي في الترب، بس بصراحة خوفت المواضيع تتفتح ويتكشف موضوع السمسرة والفلوس اللي أخدتها من السكان.
وسكت وقولت اخليني في حالي وابعد عن المعلم صبحي، لكن الموضوع مش بالبساطة دي، لأن اللي حصل بعد يومين عمري ما هنساه وقتها احمد كلمني وقالي:
_اسمع يا توفيق انت لازم تروح لبييومي وتخليه يوقف مفعول السحر اللي عمله على جسمك، انت حياتك في خطر والسحر ده هيتسبب في موتك، ومفيش قدامك غير إنك تروح لبيومي.



_أيوه بس انا هروحله ازاي انا معرفش مكانه فين وأخر حاجة اعرفها إنه مظهرش من يوم ما عمل اللي عمله معايا، وهو بالبساطة دي هيرضى يفك السحر اللي عمله.
_بقولك إيه انا سألت الساحر التايب اللي وديتك ليه وقالي إن السحر ده لازم يتفك وإلا الشيطان الموكل بالسحر هيتسبب في موتك وفيه خطورة على حياتك، حتى لو بالقوة نخلي بيومي يفك السحر وانا معاك مش هسيبك.
_خلاص انا هسبقك واروح الترب وانت تعالى ورايا.
روحت الترب وكانت أوضة بيومي مفتوحة ومافيهاش أي حاجة من حاجته يعني مفيش غير الجرادل والجاروف روحت هناك ومكنش فيه أي حد، وبعد شوية اتفاجئت لم لقيت البت سوسن جاية وداخلة بتتلفت حواليها وجريت بسرعة ناحية أوضة بيومي واتحركت ورا الباب وفضلت تحفر بإيديها لحد ما خرجت كيسة سودة وأخدتها وخرجت تجري بس انا المرة دي مسكتها وكانت مرعوبة لما شافتني وقالتلي:
_انت.. انت لسه عايش؟!
_إيه اللي في إيدك ده؟ وفين بيومي... انطقي وإلا هقتلك هنا.
_انا مليش دعوه بحاجة، دول 5000 جنية حقي.
_حقك بتاع إيه؟ وإيه اللي جاب الفلوس دي هنا؟
_بيومي.. بيومي سابهملي هنا.
_وهو فين انطقي؟
_معرفش.. معرفش.
وقتها دخل احمد وأخد منها الفلوس وقالها:
_احنا كل اللي عاوزينه من بيومي إنه يفك السحر اللي عمله على جسم صاحبي.. هتنطقي ولا نخلص عليكي هنا.
البنت كانت مرعوبة مننا علشان كده بدأت تتكلم وقالت:
_انا مليش دعوة انا بنفذ اللي بيتطلب مني وبس، ولو منفذتش هيقتلوني بيومي ده واحد دجال وسحار ومش متجوز ولا له بيت ده كل يوم في مكان وفي بلد، والمعلم صبحي هو اللي جايبه وعارف حقيقته، وانا مقتلتش حد هما السبب.
_هما مين اتكلمي.
_المعلم صبحي وبيومي هما السبب هما اللي قتلوا حفيد الحج ضرغام وبنت سميرة هانم خلوني قفلت عليها باب الحمام ورفعت درجة الحرارة ما هو المعلم صبحي بعتني اشتغل خدامة عنده، والتاجر هما اللي بعتوله كهربائي علشان يصلحله حاجات في شقته وخلوه يوصل الأسلاك في البانيو بحيث التاجر يموت ومحدش يعرف إنه اتقتل، هو المعلم صبحي وبيومي هما اللي ورا المصايب دي كلها، وانت كمان كانوا هيقتلوك بنفس الطريقة.



_عندي سؤال واحد بس بيومي فين دلوقتي.
_هديلك العنوان وسيبني أمشي، والنبي سيبني امشي.
روحنا العنوان اللي أخدناه من سوسن وكان أوضة فوق السطوح قاعد فيها بيومي، أول ما فتح الباب نزلنا فيه ضرب انا واحمد وربطناه وقولتله:
_انا خلاص عرفت كل حاجة.
_وبعد ما عرفت عاوز مني إيه؟!
_اللي حضر العفريت يصرفه يا تُربي.. تفك السحر اللي ورطتني فيه.
سكت شوية وتف على الأرض وقالي:
_وانا هفكه إزاي وانت رابطني كده.
احمد وقف عند باب الأوضة وانا فكيته لقيته بيقولي:
_اقلع هدومك ونام على الأرض.
كنت متردد وقلقان منه وفعلا قلعت ونمت، لقيته بيقطع قماش كفن وبيلفه على جسمي وبعدها كتب طلاسم على القماش وقعد يقرأ حاجات ويتمتم ودلق مايه على صدري بعدها شال قماش الكفن لقيت الجدول والطلاسم اللي كانوا على جسمي اختفوا، قومت بسرعة ولبست هدومي وبلغت عن المعلم صبحي وبيومي التربي واعترفت على نفسي بخصوص السمسرة اللي أخدتها من السكان هو ده الصح والحق، والساكت عن الحق شيطان أخرس ، ومن وقتها حد الله بيني وبين الجبانات والشغل دا كلو ، وفتحت الكشك تاني في الصعيد وبقيت احسن واسعد انسان في الدنيا وصحبي احمد ملازمني في كل وقت وكل حين وملناش غير بعض وقربنا من ربنا وبنشكره في كل خطوه بنخطيها والمفاجأه بقا ان احمد صحبي ساعدني في مصاريف جواز بنتي والمفاجأه الكبيره ان طلب ايد بنتي الصغيره واتجوزوا علي سنه الله و رسوله وبقيت انا ومراتي لوحدنا في البيت ومصاريف البيت من الكشك اللي تحت في البدروم وحياه سعيده ومافي اسعد منها .


رواية
نباش الجثث